
المائدة
الرمضانية

تأليف

حامد علي زقزوق

من علماء الأزهر الشريف

الطبعة الأولى ٢٠٠١

مكتبة الإيمان بالمنصورة

٢٢٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والثناء المستطاب علي الله ، وبحمدنا لربنا تتواصل نعمه ، ويستمر عطاؤه ، ويزداد كرمه وفضله.

وبعد : فتلك هي المائدة الرمضانية ، وهي تحمل فوقها الغذاء الروحي ، والقوت القلبي ، والزاد الإيماني ، ويتمثل ذلك الزاد في صورة حلقات بعدد أيام شهر رمضان وهي حلقات متنوعة ، وكلها تتصل بهذا الشهر المبارك ، بما فيه من صوم يؤدي إلى تقوي الله ، وغزوة بدر الكبرى التي تجلي فيها نصر الله ، وفتح مظفر لمكة ، وتحطيم للآلهة المزيفة التي كانت تشوه جلال الكعبة وتعبد من دون الله ، ثم تتويج هذا الشهر بليلة القدر ، التي هي هدية الله إلى الأمة المحمدية ، والتي هي خير من ألف شهر ، وبيوم العيد يوم الجائزة الكبرى من الله لمن صام شهر رمضان ، وحقق الهدف من صيامه كما جاء في القرآن الكريم (لعلكم تتقون) فالتقوى هي الغاية من الصيام ، وهي غاية سامية كل السمو ، لما يترتب عليها من خير عظيم من الله .

أخي المؤمن :- تلك هي المائدة الرمضانية أمامك ، وهذا هو طعامها المعنوي بين يديك ، وهو طعام لا يؤدي إلى تخمة ومرض ، وإنما يؤدي إلى صحة ومكاسب وتلك المائدة قدمت إلى أبناء ليبيا الشقيقة من خلال إذاعة القرآن

الكريم ، حين كنت معارا إلى تلك الشقيقة من قبل الأزهر الشريف الذي كنت أقوم بالتدريس في أحد معاهده وهو معهد المنصورة الديني الثانوي .

والله أسأل أن يوفقك أخي القارئ إلى ما فيه نفعك دنيا وأخري ،وأدعوه سبحانه أن يجعل هذه المائدة مباركة نافعة ذات عبير فواح ، وهو - جل شأنه - خير من يسأل، ومنه العون والتوفيق ، وقبول الدعاء ، وتحقيق الآمال الخيرة بإرادته وقدرته.

حامد علي زقزوق

مدرس أول بمعهد المنصورة الديني الثانوي سابقا

الإهـــداء

أهدي أبوي العزيزين الراحلين مائدتي الرمضانية .

وأهديها كذلك إلى ذريتي ذكورا وإناثا.

وإلي إخوتي وأخواتي، وإلي كل من يستظل بظل الإسلام .

ويلزم نفسه بأداء ما جاء فيه من تكاليف إلهية ، بروح إيمانية ، وإخلاص قلبي ، ونفس تواقة دائما إلى أداء الواجب .

وأرجو الله تبارك تعالي أن ينتفع المؤمنون بهذه المائدة ، وأن تكون ذات ثمرة وفائدة ، وهو سبحانه القادر علي تحقيق رجائي ومنه العون والتوفيق .

حامد علي زقزوق

الحلقة الأولى

الصيام مائدة الروح

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فمائدة الطعام المادي الذي نتناوله بأفواهنا ، حين تتعدد أطعمتها وتتنوع أصنافها ، وتحمل كثيرا من مختلف الألوان ، فإنها - والحال هذه - تجذب الإنسان إليها ، وتشده إلى ما عليها ، وتدفعه إلى الأكل منها بقابلية شديدة وشوق كبير ، ثم إن تعدد الأطعمة وتنوع الأصناف يؤدي إلى تعدد العناصر اللازمة للجسم ، وبالتالي يكون لهذا أثر كبير في حيوية البدن وصحته ، ومن هنا تكون مثل هذه المائدة ، ذات فائدة عظيمة ، واثر بارز في إمداد الجسم بكل ما يحتاج إليه من مواد غذائية ، وعناصر ضرورية ، تقيه من الأمراض ، وتبعد عنه خطرها ، والسبب في هذه الوقاية ، هو ذلك الغذاء المتنوع الكامل ، الذي قوي جهاز المناعة، فإذا جاء مرض من الأمراض ليغزو الجسم ، وينقض عليه ليفترسه ، كان هذا الجهاز له بالمرصاد ، وصوب إليه أسلحته وقضي عليه ، وإذا فمائدة الطعام ذات الأنواع المختلفة من المواد الغذائية ، لها أحسن الأثر وأعظم الفائدة بالنسبة للبدن ، ونحن إذا نظرنا إلى مائدة العبادة ، مائدة الروح ، نجدها ذات ألوان متعددة ، وقد أراد ربنا - جل شأنه - أن تكون بهذه الصورة ليصقل الروح الإنسانية بشتي العبادات ، ويهذب النفس بوسائل كثيرة ، ويرقق المشاعر بطرق مختلفة ، ويصفي القلب من الشوائب ، بمختلف الأنواع ، ويسمو

بالإنسان إلى أفضل منزلة له بما فرضه عليه من عبادات متنوعة ، وبيان ذلك أن الله تعالي لم يفرض علي المؤمن نوعا واحدا من العبادات ، وإنما نوع ما فرض ، وكلفه بأمور متعددة الأصناف ، حيث جعل منها ما يتمثل في القول باللسان ، وذلك كدعاء المؤمن ربه ، وذكر خالقه ، ودعوة الغير إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الجاهل ما يحتاج إليه من أمور الدنيا والدين ، وإرشاد الضال إلى الصواب ، وما إلى ذلك من أنواع أخرى تدور في هذه الدائرة ، إن هذا لون من ألوان العبادة وهو قول ، واللسان أداة هذا القول ، وهناك لون آخر من ألوان العبادة ، وهو يتمثل في الفعل ، وهذا الفعل إما بدني كالصلاة ، وإما مالي كالزكاة ، وإما أن يكون مشتركا بين ذا وذاك ، جامعا للونين معا ، كالحج إلى بيت الله الحرام ، والجهاد في سبيل الله ، ومن ألوان العبادة أيضا ، لون ليس قولا ولا فعلا ، ولكنه كف وامتناع - ويتمثل هذا اللون في عبادة الصيام، الذي هو امتناع عن تناول الطعام والشراب ومباشرة النساء ، من قبيل الفجر حتى غروب الشمس طيلة أيام شهر رمضان المبارك ، وهذا الامتناع والكف ، يبدو سلبيا في مظهره لكنه إيجابي في مخبره وحقيقته وروحه ، لأنه كف للنفس، وإلجام لها ، وتحكم فيها ، وحيلولة بينها وبين ما تشتهي ، وتقييد لها عما ترغب فيه ، وهذا الكف والإلجام والحيلولة والتقييد ، كل ذلك بنية القربة إلى الله تعالي ، فهو بهذا المعني الكبير عمل نفسي إرادي ، له ثقله وقيمته في ميزان الحق والخير والقبول من الله ، وله أثره العظيم في الدنيا وفي الآخرة ، والدين ما هو إلا فعل وترك ، فعل لما أمر به الله وأوجبه ، وتحصيل للمأمور به إيجابا أو استحبابا ، وترك لما نهي الله عنه ، وابتعاد عن المنهي عنه تحريما أو كراهية ، والفضائل ما هي إلا فعل بما ينبغي تحصيله ، واتصاف بما فيه خير ، وبالتالي ترك لما ينبغي أن يكون متروكا ، وبعد عما فيه خطأ وعيب ، والصيام الذي هو

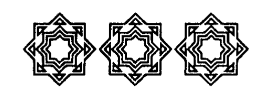
عمل إيجابي بنية القربة إلى الله ، هو عبادة ضاربة فى أعماق التاريخ ، قديمة قدم الزمان ، معروفة لدي غيرنا من الأمم السابقة ، غير أن الكيفية لدي غير المسلمين ، حدث فيها تحريف وتبديل ؛ تحريف في الزمن ، وتحريف في الطريقة والأداء ، وقد تحدث القرآن الكريم عن قدم عبادة الصيام ، وبين أنها لم تفرض علي الأمة الإسلامية فحسب ، وإنما كانت مفروضة علي السابقين من الأمم الأخرى ، وفي هذا الشأن جاء في القرآن الكريم قول الله تعالي: ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣) فهذا نص صريح واضح ، يبين اشتراك غيرنا ممن سبقونا في القيام بأداء عبادة الصيام ، تنفيذا لأمر الله ، وامتثالا لما كلفوا به من قبل الله - عز وجل - وبما أن الصيام مصحوب بالمشقة والتعب ونظرا لما فيه من حرمان من الطيبات من الرزق ، ولما فيه من مجاهدة وجلد ، ولما يترتب عليه من معاناة وشدة ، بما انه يكون كذلك ، فإن رب العزة - جل شأنه - لم يفرضه علي الأمة الإسلامية وحدها ، وإنما جعله عبادة مشتركة بين خلقه ، حتى تكون هناك مساواة بين عباده فيما كلفهم به وألزمهم بأدائه ، وحتى تكون النفوس مستريحة لأداء هذه العبادة الشاقة في ظل تلك المساواة ، وليكون هناك إقبال من جانب الخلق علي تلك الطاعة ، وتحمل لما يترتب عليها من آثار مرهقة ، عندما يعرفون أن الله - تبارك وتعالي - لم يكلفهم وحدهم بهذه الفريضة ، وربنا الذي يعلم ما تنطوي عليه نفوس خلقه ، وما تختزنه قلوبهم من خبايا ، هو سبحانه يعلم كل شيء عنهم ، وهو يعلم أنهم لو وجدوا أنفسهم مكلفين دون سواهم ، فإنهم لن يكونوا مستريحين ، وسيجدون في ذلك غضاضة عليهم ، وإذا أدوا هذه العبادة ، فسيكون أداؤهم لها أداء خاليا من روح الرضا ، مشوبا بالاهتزاز وعدم القابلية ، لما كان يعلم ربنا ما تنطوي عليه نفوس عباده ، فإنه - سبحانه وتعالي - راعي هذا

الجانب النفسي حين تكليفهم ، ولذا قال في كتابه الكريم :

﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣) وإذا فالصيام ليس خاصا بالأمة المحمدية ، وليست تلك العبادة مقصورة علي المسلمين وحدهم ، وإنما هي عبادة مشتركة بين خلق الله ، وقد كلف - جل شأنه - السابقين واللاحقين بهذه العبادة ، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي العدل الرباني ، والرحمة الإلهية ، والمساواة بين الخلق ، وربنا الموصوف بكل كمال ، والمنزه عن كل نقص لابد أن يكون عادلا بين خلقه ، وأن تستهدف عبادته المساواة بين العابدين.

أيها الإخوة والأخوات : إن الصيام سر بين العبد وبين الرب ، وهو أعظم معوان للصائم علي قمع الشهوة الجامحة ، وكسر حدة النفس الأمارة بالسوء ، والغرائز غير السوية ، وهو خير مرب للإنسانية ، وموجه لها إلى طريق الخير ، فعلينا أن نستفيد من تلك العبادة ، وأن نصونها من الأدناس ، ونبعدها عما يشوهها، لتكون مقبولة لدي الله ، ونحظى بالثواب الكبير ممن يملك ذلك وهو الله ..

إن مائدة رمضان عليها أعظم زاد للأرواح ، وأفضل قوت القلوب ، وأقوي غذاء للنفوس ، فلنقبل علي تلك المائدة بجد ونشاط ، لنغذي أرواحنا وقلوبنا ، وليكن اهتمامنا بمائدة رمضان أشد من اهتمامنا بمائدة الأجسام ، وإنا لنسأل ربنا - عز وجل - ، أن يصون صومنا من كل دنس ، ويوفقنا إلى أدائه علي الوجه الأكمل الذي يرضي عنه ، ويثيب عليه بالأجر الجزيل - اللهم أمين -



الحلقة الثانية

إيجابية الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فتلك هي مائدة شهر رمضان المبارك ، تمد أمام المسلمين في شتي بقاع الأرض طيلة هذا الشهر ، وهي مائدة زاخرة بشتي الأطعمة الروحية ، وألوانها المتنوعة ، ولنتناول لونا من هذه الألوان التي فوق تلك المائدة ، لكي نسد رمق أرواحنا ، ولنشبع رغبات قلوبنا ، وهذا اللون من تلك المائدة ، هو إيجابية الصيام ، وقد مر بنا في الحلقة السابقة ، أن الصوم يبدو سلبيا في مظهره ، لكنه في الحقيقة والواقع إيجابي ، لأنه يمكن الصائم من التحكم الجاد في النفس، وإلجامها عن الوقوع في المعصية ، وكبح جماحها وكفها عن المشتهيات والرغبات، والصورة واضحة أمامنا ، غير خافية علينا ، حيث إن الصائم يظل ممسكا عن الطعام وعن الشراب وعن سائر المفطرات مدة كبيرة من الزمن ، تتمثل في الفترة التي تبدأ من قبيل الفجر وتنتهي بغروب الشمس ، والصائم بهذا الإمساك قد ألجم نفسه في هذه الفترة الزمنية الكبيرة وكفها عما تميل إليه من رغبات ومشتهيات ، والذي نحن بصدد الحديث عنه في هذه الحلقة التي معنا ، هو بيان مفهوم إيجابية الصوم بيانا شافيا ، وللحديث عن ذلك نقول : إن إيجابية الصوم لا تتمثل في البعد عن المشتهيات والرغبات فحسب ، وإلا لو كان الأمر كذلك ، وانتهي عند هذا الحد دون امتداد إلى غيره ، لكان الصوم بهذا

المعني الضيق غير عميق الأثر ، ولما وصل بالصائم إلى الغاية التي ينشدها الإسلام ويرنو إليها ، ولكان الصوم - والحال هذه - كجسم خال من الروح ، أو كان كشجرة جرداء بلا ثمر ، وحاشا أن تكون عبادة الصوم بهذه الصورة ، وإذا فإيجابية الصوم لا تتمثل في هذا الجانب فقط ، وإنما هذا الجانب وهو التحكم في النفس ، ما هو إلا إعداد وتهيئة وتمهيد لجانب آخر عظيم ، وهو التحليق بالروح في سماء الفضائل وجو الصفاء والإشراقات ، وطبع النفس علي الأخلاق الفاضلة ، والخلال الحميدة ، وبهذا المعني وعلي ضوء ذلك ، تكون إيجابية الصوم متمثلة في شيئين : أولاهما : هذا الكف والامتناع عن المفطرات ، وفرض سلطان العقل بقوة علي نوازع النفس ، وإسكات صوت الهوى في الإنسان الصائم ، وتطهيره مما يكون عالقا بنفسه من دنس ، أما الأمر الآخر : وهو ذو صلة وثيقة بالأمر الأول ، ويعتبر مكملا له ، وبهذا الارتباط وتلك الصلة ، تتحقق إيجابية الصوم ، ويؤتي ثماره المرجوة ، وهذا الأمر المكمل ، يتمثل في تأثر الصائم بهذه العبادة ، وإحاطة الصوم بسياج منيع من الفضائل ، وفي مقدمتها تقوي الله ، والأدب مع الله ، وعفة النفس وإلجامها عن كل ما يشين، وبعد اللسان عن اللغو وإساءة الناس ، وتتمثل كذلك في التحلي بفضيلة الصبر ، وهذه الفضيلة ذات ارتباط قوي بفريضة الصوم ، ثم علي الصائم كذلك ، أن يعطف علي اليتامى، ويواسي الفقراء ، وأن تمتد يده بالبر والإحسان إلى من أخني عليهم الدهر ، ويواسيهم ويخفف عنهم أحزانهم ، ثم يؤصل هذه الفضائل وتلك الخلال الطيبة في نفسه ، بحيث يكون الصائم في هذا الشهر ملاكا كريما ، ورمزا جميلا في ميدان الخير ، وبحيث يكون في شهر الصيام رصيدا كبيرا في مجال الطاعة والعبادة ، وبهذا يكون ذا ثروة واسعة من الحسنات والرضا من الله ، فشهر رمضان شهر مبارك .

والصوم الذي فرضه ربنا فيه لهو خير مؤدب واعظم مرب ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - كان يهتم بهذا الشهر كل الاهتمام ، وكان يضاعف فيه جوده وسخاءه ، حتى إنه كان فيه أجود من الريح المرسلة ، ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة .

والصوم كالشجرة في نفعها وظلها الواقي ، وقد قيل عن الصوم والشجرة: بأن الصوم كشجرة جذعها الصبر ، وأغصانها شكر الله ، وأوراقها وثمارها ذكر وفكر ، وتسبيح وتحميد ، وتضرع وابتهال ، ودعاء وسؤال ، وإقبال علي الله ، وانقطاع بالكلية إليه ، وإذا فليس الصوم مجموعة من الأمور السلبية فقط، وإنما هو مجموعه أمور إيجابية ، تتمثل في كف وإلجام النفس ، والتأثر بفريضة الصوم ، وانطلاق الروح في عالم الصفاء والطاعة والسمو بها في جو العبادة ، وإبعاد اللسان عن الغيبة والنميمة ، ومما يؤكد ذلك وغيره مما أمر به الدين ونهي عنه ، تحدث القرآن الكريم عن الحكمة البارزة من الصيام ، وذلك في قوله تعالي: ﴿ لعلكم تتقون ﴾.

فالتقوى هي الغاية من الصيام ، وإليها تعود جميع الفضائل ، وبها يبتعد الإنسان عن جميع الرذائل ، وما التقوى إلا تحلية وتخلية ، تحلية بكل ما يرضي الله من قول وفعل ، وتخلية عن كل فعل ذميم أو قول مشين.

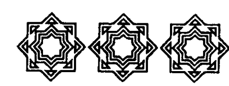
والصوم الذي ينشده الدين يجسد هذا المعني ، حيث إن التخلية تمثل جانب الابتعاد والاجتناب ، والكف والانتهاء ، والتحلية تمثل جانب الإنشاء والبناء والإقبال والاقتراب ، الاقتراب من رحمة الله ورضاه بعد الإقبال عليه بما أمر به والبعد عما نهي عنه .

فالصوم بهذا المعني الكبير وتلك الإيجابية الواسعة ، وبوجود روحه وتوفر حقيقته ، يكون ذا أثر عظيم ، ويترتب عليه أجزل الأجر من الله الواسع العطاء ،

الكريم الذي لا تنفد خزائن كرمه . إن الصوم في الإسلام لا يكفي فيه المظهر السلبي ، وإنما هو قبل ذلك ، عمل روحي إيجابي ، وربنا - جل شأنه - ، لم يأمر عباده بالصوم لكي يحرموا أنفسهم من الطيبات من الرزق ولتهزل أجسادهم، ويعانوا ألم الحرمان ومرارة الجوع ،إنه سبحانه لم يأمرهم بالصوم من أجل ذلك ، وإنما لأهداف سامية وأغراض أخرى ، وهي تلك التي تمثلها إيجابية الصوم ، فالصوم وسيلة لأنبل غاية ، وهي السمو بالروح والتحليق بها في عالم الصفاء والتقي ، والقرآن الكريم يؤكد أن ربنا يريد لنا اليسر ولا يريد بنا العسر والمعاناة ، وذلك في قول الله تعالي :

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾(البقرة :١٨٥).

فليس هدف الصوم إذا الحرمان لذاته ، وليس الغرض منه الألم البدني ، وإنما الهدف والغاية ، تحقيق خلال الخير ، والصوم اختبار روحي ، وعبادة نافعة، تأخذ بيد الصائم إلى منابع الخير ، وتوصله إلى الرضا الإلهي ، وتدربه علي التحمل والصبر ، والصوم سلبي في الظاهر إيجابي في حقيقته ، وعلي الصائم أن ينظر إلى الصوم من الزاوية الإيجابية ، وبهذه النظرة الدقيقة الواعية ، ستتضح لديه الصورة الحقيقية للصوم ، وسيجد نفسه وقد تحول إلى ملاك كريم ، وليكن الهدف الأسمى من الصوم في نظره هو تكوين الشخصية الإيمانية ، التي تتحلى بأنبل الصفات وأسماها ، والله ولي التوفيق .



الحلقة الثالثة

النداء الإلهي للمؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وبعد : فهيا بنا إلى مائدة رمضان ، والالتفاف حولها والانتفاع بما عليها ، هيا بنا إلى تلك المائدة ، ففيها الزاد القلبي لنا ، وفيها أشهى الأطعمة لأرواحنا ، وهذا لون من ألوانها ، وصنف من أصنافها ، ولنقرأ معا ما جاء في القرآن الكريم عن هذا اللون وذلك الصنف ، انه جاء بقول الله تعالي :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣).

إنه نداء حلو جميل ، له أعظم الوقع في القلوب ، وأجل الأثر في النفوس ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ (البقرة : ١٨٣)، إنه النداء الرباني المرتبط بأفضل نعت وهو الإيمان ، انه نداء التشريف والتكريم ، وممن هذا النداء ؟ إنه من الله - تبارك وتعالي - ولمن هذا النداء المقترن بالإيمان ؟ إنه لأحباب الله من المؤمنين ، والقرآن الكريم جاء بهذا النداء الإيماني التشريفي في نيف وثمانين موضعا ، وهذا دليل علي سمو منزلة من دخل في هذا النداء التكريمي ، وعلو قدر من شرف بالاستظلال بظل الإيمان المثمر البناء ، الذي تظهر آثاره علي أعضاء الجسم ،

صلاة وصوما ، وذكرا وتقي ، وصلة بالله تعالي ، وتعاونا مع أبناء الإنسانية ، وحسن مسيرة في الحياة ، إن المؤمن الذي دخل في هذا النداء المشرف ، أهل لست مكافآت نفيسة من الله ومؤهل لبشارات ربانية جاء بها كتاب الله ، وأول هذه المكافآت محبة الله ، ومصداق ذلك قول الله تعالي :

﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ (المائدة : ٥٤)

وثاني : المكافآت نصر الله ، مصداق ذلك قول الله – جل شأنه – :

﴿ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ﴾ (الروم :٤٧).

وثالثها : العزة من الله للمؤمنين ، ومصداق ذلك قول الله – تعالي – :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (المنافقون : ٨).

ورابعها : الرحمة من الله لهم ، ومصداق ذلك قول الله – تعالي – :

﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ (الأحزاب : ٤٣).

وخامسها : الفضل والمغفرة ، ومصداق ذلك قول الله – تعالي – :

﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ (الأحزاب : ٤٧).

وسادس : تلك الجوائز الإلهية : الشفاعة يوم لقاء الله ، ومصداق ذلك في قول الله تعالي : ﴿ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ﴾ (يونس : ٢).

تلك المكافآت التي جاء بها القرآن الكريم ، هي من نصيب المؤمنين الحقيقيين ، وقد منحهم الله إياها لأنهم أحبابه ، والصفوة من خلقه ، وهي كما

نري مكافآت ثمينة نفسية ، لأنها من الله الكريم الواسع العطاء ، والكريم لا يعطي إلا ما يليق بكرمه ، ويتفق مع جلال قدره . وقد خاطب ربنا - جل جلاله - المكلفين من عباده بهذا التشريع بقوله - تعالي - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾، وهكذا هيأ الله المخاطبين لقبول كل ما يكلفون به ويطلب منهم مهما كان هذا التكليف شاقا وعسيرا، لأن صفة الأيمان تقتضي ذلك وتوجبه ، حيث إنه من آمن بالله كإله ورب ، وسيد ومطاع ، وصاحب الأمر والنهي ، وخضع له بقلبه وقالبه ، واستسلم له وأحبه من أعماق قلبه ، كان جديرا بإجابة كل ما يصدر عنه من أمر ، وكل ما يوجه إليه من طلب . هذا هو شأن ، المؤمن الحقيقي ، وتلك هي حاله ، والقرآن الكريم بين هذه الحقيقة وتحدث عنها في أكثر من آيه ، فهذا قوله سبحانه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال : ٢٤).

وهذا قوله - تعالي - : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

وهذا قوله - سبحانه وتعالي - : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ﴾ (النور : ٥١) .

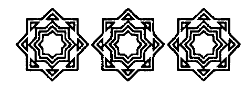
وهكذا نجد ربنا لم يكلف عباده إلا بعد تهيئة ، ولم يأمرهم بما يريد إلا بعد إعداد ، وهنا في فرض الصيام هيأ الله نفوس عباده المؤمنين ، وخاطبهم بما فيه تشريف لهم ، وناداهم بنداء التكريم والتقدير ، ووصفهم بأعظم الأوصاف وأنبلها ، حيث قال رب العزة - جل شأنه - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ وبعد هذا

النداء الإلهي المشرف قال ربنا لهم : ﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ وبعد أن بين سبحانه أن الصوم قد فرض عليهم ، أخبرهم بأن الصوم ليس بدعا في التشريع ، إذ أنه كتبه وأوجبه علي من سبقهم من الأمم الخالية ، وفي هذا تهوين عليهم وتخفيف من وطأة هذا التشريع علي النفوس ﴿ كما كتب علي الذين من قبلكم ﴾.

أيها الإخوة والأخوات : إن ربنا - سبحانه - قد شرف هذه الأمة المحمدية، وأعلي شأن المؤمنين ، وذلك بما ذكره في القرآن الكريم من آيات التكريم والتقدير ، وآية الصوم التي معنا ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ تبرز ذلك التكريم الإلهي ، ومثيلاتها من الآيات الأخرى التي جاءت في القرآن الكريم ، تجسد كذلك هذا التقدير الرباني، حيث أتبع ربنا نداءه بوصف الإيمان، والإيمان هو سر ذلك التقدير والتكريم والمؤمن يبرهن بإيمانه علي سعة أفقه ، وعلي بعد نظره ، وشدة فطنته ، وغزارة ذكائه ، وعلي سمو نفسه ورجاحة عقله، إذ لولا هذا الأفق الواسع لما آمن بالله ، ولولا رجاحة عقله لما توصل إلى المعرفة بخالقه ، حيث إن المعرفة به - سبحانه - تستلزم قلوبا فاقهة ، وأعينا مبصرة ، وآذانا ليست صماء ، وتأثرا بالآيات والدلائل المبثوثة في الكون ، وتفاعلا مع الدعوة إلى الإيمان بالله - تبارك وتعالي - وهكذا نجد القرآن الكريم يصم الكفار بوصمة العار ، ويبين انهم لم يؤمنوا ، لأن لهم قلوبا لا يفقهون بها ، وأعينا لا يبصرون بها ، وآذانا لا يسمعون بها ، وشبههم بالأنعام والحيوانات ، بل يقول : إنهم أدني من ذلك وهم أضل ، وإذا فوصف الله للمؤمنين به بصفة الإيمان، وسام تشريف وقلادة تكريم ، لأن هذا الذي اتصف بالإيمان ، قد استخدم عقله ، واستفاد من آيات الله في كونه ، وتوصل إلى الحقيقة والمعرفة ،

ولم يكن جامد الفكر والنظر ، ولا عديم الفهم معطل العقل ، ومن هنا كان جديرا بهذا التشريف الرباني . والمؤمن الحقيقي الذي ينال الخير كل الخير من ربه ، واجتناب ما نهي عنه خالقه ، وهو ذلك الذي لا يتوانى عن أداء ما طلب منه ، ولا يجرؤ علي مخالفة ربه فيما أمر به أو نهي عنه ، وهو ذلك الذي يطبق ويجسد القوانين السماوية بأمانة وإخلاص ودقة وحسن أداء ، فهو مصل كما أمر، وصائم كما طلب منه ، وهو بعيد عن المحرمات ، ، ومتحل بالفضائل ، وناء عن الرذائل ، ومثل هذا المؤمن الملتزم جدير بكل خير ، خليق بالسعادة دنيا وأخرى ، وإنا لنسأل الله - سبحانه - أن نكون من هذا الصنف الملتزم .

وبالله التوفيق .



الحلقة الرابعة

الإنسان جسد وروح

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فلنلق نظرة علي الإنسان ، ومن خلال هذه النظرة المتأنية ، سنعرف مم كون هذا الإنسان ، ونعرف كذلك التقييم الإلهي له . ولم كانت فريضة الصيام ؟ ولماذا كانت الأوامر الربانية بالعبادات المختلفة ؟ ومائدة رمضان بما تحويه من معرفة ، ستزودنا بما نحتاج إليه من معلومات في هذا الشأن ، وها نحن أولاء نجلس إلي تلك المائدة ، ونستقي منها ما نحن بصدد المعرفة عن الإنسان ، وقد عرفنا من خلالها ما يتكون منه ، وبيان ذلك انه يتركب من عنصرين : وهذان العنصران متناقضان ، إذ إن أحدهما : روحي، ومصدره الملأ الأعلى ، وهو يقترن بالقيم السامية والفضائل العالية ، وأما العنصر الآخر : فهو مادي، ومصدره الأرض ، وهو يقترن بالشهوات ، ويرتبط بالملذات ، إنهما عنصران تكون منهما الإنسان ، ولهذا فهو مزيج من الخواص الملائكية والخواص الحيوانية ، وهو بهذا التكوين الملائكي الحيواني ، في مرتبة وسطي بين الملكية والحيوانية ، وهذا الإنسان الذي بهذه الصورة ، اختاره ربه ليكون في منصب الخلافة في الأرض ، وهذه الخلافة تشريف له وتقدير ، وقد خاطب ربنا ملائكته

وأخبرهم بهذا الاختيار؛ فقالوا لربهم : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ (البقرة : ٣٠).

ولكن الله - تعالي - أخبر الملائكة بأن اختياره الإنسان مبني علي الحكمة، وأنه - جل شأنه - يعلم ما لا تعلمه الملائكة ، وقد جاء القرآن الكريم بقول الله - تعالي - :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ (البقرة : ٣٠).

ثم إن ربنا اختار الإنسان لحمل الأمانة وهي عبء ثقيل ومسئولية خطيرة ، وصدق - سبحانه - حيث قال :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ﴾ (الأحزاب : ٧٢).

إن الإنسان جسد وروح ، والروح تشده إلى اصلها ومنبعها ، وتذكره بمركزه ووظيفته في أرض الله ، وتبعث فيه الثورة علي تلك المادة المرتبطة بالشهوات وتوحي إليه بالتحرر من أسرها ، والانطلاق في أجواء الحب في الله والمعرفة به ، وأداء ما كلف به بدقة وأمانة وإخلاص وصدق ، لينال الخير كله من الله، أما الجسد فهو علي النقيض من ذلك ، فهو يجذب الإنسان إلى أصله الأرضي، وما يترتب علي ذلك من ارتطام بهذه الأرض ، وانحدار إلى وهادها ، وسير في ظلماتها ، واقتراف لما عليها من منكر.

وهكذا كان الإنسان مزيجا من الروح والجسد ، وشتان بين الاثنين، إذ أن الروح متصلة بالملأ الأعلى بما فيه من شفافية وسمو ، أما الجسد فارتباطه بالأرض وما فيها من رذائل . ولهذا فالإنسان قد يكون عند الله خيرا من الملائكة الذين خلقوا من النور ، وذلك إذا ملكت الروح زمام المبادرة ، وفرض العقل سلطانه علي العنصر المادي ، إنه عند ذاك يكون السمو والتحليق في عالم الفضائل، والانتصار الساحق علي المادة ، وتكون المسيرة العطرة في الدنيا ، والتي تؤهله إلى حياة سعيدة كل السعادة في الآخرة ، بما فيها من روح وريحان وجنة نعيم ، ورضا من الله رب العالمين.

أما إذا كان السلطان للجسد ، والانتصار للمادة علي الروح ، والانسياق وراء الشهوات ، وتغلب الطبيعة الحيوانية في الإنسان ، وسيطرتها علي التفكير ، والاستحواذ علي المشاعر والحواس ، والجري وراء الماديات والبعد عن القيم ، والاسترسال في إرضاء نهم الإنسان وإشباع رغباته ، إنه عند ذاك تكون الكارثة ، ويكون الإنسان آنئذ شرا من البهائم ، ومن هنا ندرك النتيجة التي تترتب علي تغلب أحد العنصرين علي الآخر ، والإنسان هو الذي يصنع المقدمات ، وهو السبب في حسن النتيجة أو عدم حسنها ، ورحمة من الله بالإنسان الذي يتخبط في حياته ، كان إرسال الرسل في أزمنة مختلفة وأماكن معينة ، لكي يوجهوا الناس إلى المعرفة بالله ، ويرشدوهم إلى طريق الاستقامة والخير ، ويبينوا لهم واجباتهم في حياتهم التي كلفوا بها من قبل الله ، وينموا عقيدتهم الإيمانية ، ويأخذوا بأيديهم إلى دروب النور ومسالك الاستقامة ويعدوهم الإعداد السليم

المبني علي الأخلاق الإسلامية، ويقودوا جانب الروح فيهم ليكونوا علي مستوي الخلافة التي لا تتحقق إلا بتغلب الجانب الروحي علي الجانب المادي.

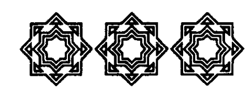
وللوصول إلى تلك الغاية السامية وهي الخلافة ، كان الأمر الإلهي بالصوم، لكي يحد هذا الصوم من شراهة المادة وأخطارها المعدية ، ويعيد للنفس ما فقدته من اتزان ، وليقوي الجانب الروحي بالشحنة الإيمانية التي يأتي بها الصيام ، وبهذا يكون الانطلاق السريع والمتواصل في ميدان الخير وفي طاعة الله، وعندئذ تكون راية القيادة في جانب النور والروح، ويكون الانتصار المؤزر لقوة الخير علي قوة الشر ، وفي ظل هذا الانتصار الروحي الذي هو نتيجة الصيام ، يسعد الإنسان ويسمو ، ويرتفع ذكره ، ويعلو نجمه ، وترتع روحه في رياض الخير ، وتسرح في ملكوت السماوات والأرض ، وتعرف النفس لذة لا عهد لها بها في الطعام والشراب ، إذ الصيام عدل السلوك ، ونظم تناول الطعام ، ثم هو حبس النفس عن الشهوات ، وفطامها عن المألوفات ، وللصوم تأثير كبير في حفظ الجوارح الظاهرة والقوي الباطنة ، وهو اكبر عون علي تقوي الله تعالي.

وإذا فالصوم يستهدف قمع الشهوات الجامحة ، والعادات المستهجنة ، والاسترسال في تلبية مطالب الجسد والعبادات الأخرى التي فرضها رب العزة – جل شأنه – وهي كذلك علاج وتوجيه ، وفيها التهذيب والتربية ، وبها تتكون الشخصية الإيمانية الكاملة ، وكل عبادة فرضها ربنا إنما هي لمصلحة عباده ، وهي تجتث نوازع الشر في النفوس ، وتغسل القلوب بماء الطاعة ، وعندئذ تتطهر بعد دنس ، ويستقيم الإنسان بعد اعوجاج .

أيها الإخوة وأيتها الأخوات : ها نحن أولاء عشنا في بستان تلك المائدة ، وقد استقينا المعلومات منها عن تكوين الإنسان ، وأنه ليس ملائكيا صرفا ولا حيوانيا صرفا ، وإنما هو مركب منهما معا ، ثم إن الله كرمه وأعلي قدره :

﴿ ولقد كرمنا بني أدم ﴾ (الإسراء : ٧٠).

ومن مظاهر التكريم استخلاف الإنسان في الأرض ، والصيام الذي فرضه الله علينا فضلا عن انه عبادة فهو نعمة ، وهو خير من الله لنا ورحمة بنا ، لأن آثاره كثيرة وفوائده غزيرة ، والسعادة كل السعادة في تطبيق ما أمر به الله تطبيقا أمينا ، وإنا لنسأل ربنا أن يقوي إيماننا ، ويهيئ لنا الخير حيث كان ، ويجعلنا من الذين يؤدون الصيام بروحه لا بهيكله ، وأن يكون معنا دائما بفضله وكرمه ورعايته . اللهم آمين .



الحلقة الخامسة

ثمرات الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : ففريضة الصيام تنطوي علي حكم وأسرار ، ومنها نستنبط كثيرا من الدروس المستفادة ، وفيها خير كثير للصائمين ، ورضا عظيم من ربنا الذي اتصف بالكرم الذي لا يحد والفضل الذي لا ينتهي ، والصوم يستهدف مصلحة الإنسان وهو يقوم بدور عظيم في تهذيب الغرائز ، وتنمية الفضائل ، ومحاربة الرذائل ، ولعل أبرز ما يترتب علي الصوم من نتائج ، وأشهر ما جاء به من فوائد، ما حملته آية الصوم لنا ، من أن اسمي غاية له : هي تربية ملكة التقوي لدي الصائم ، وتقويتها وتنميتها ، وذلك في قول الله - تعالي - :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣)

فالله - تبارك وتعالي - تحدث عن الثمرة التي ترجي من أداء هذه الفريضة ، والتي تتمثل في تقوي الله - عز وجل - ﴿ لعلكم تتقون ﴾ وما التقوى إلا سمو وعلو ، وارتقاء ورفعة ، وتحليق في سماء العزة ، وبالتقوى تكون الوقاية من نار جهنم ، ومن غضب الله - تبارك وتعالي - ، بها يكون الحفظ من الوقوع فى الزلل ، والبعد عن الشر والمصائب ، وهي الوسيلة الموصلة إلى الله

ورضاه . ولنسرح عقولنا في بستان التقوى وروضة الرضا الرباني ، لنعرف معا مفهوم تقوي الله وحقيقتها ، وبفهمنا لها ووضوح صورتها أمامنا ، سنجد أنفسنا وقد أسرعت إلى الاستظلال بظلها الوارف . إن التقوى ثمرة من ثمار الصوم ، وهي امتثال الخلق لأوامر الخالق ، وتطبيق أمين لما ألزم به الله عباده ، من صلاة وصوم وزكاة وحج، وتعاون وإصلاح بين الناس ، وإنفاق في سبيل الله ، وما إلى ذلك من أمور أخري تستهدف الخير للمجتمع الإسلامي وأبنائه ، وهذا هو جانب الامتثال، أما الجانب الآخر وهو الاجتناب ، فهو الامتناع عن فعل كل ما نهي الله عنه والابتعاد عن اقتراف الرذائل التي لا يرضي عنها الله ، هذا هو مفهوم التقوى بإيجاز .

أما الإمام علي - كرم الله وجهه ورضي عنه - فإنه يفسر التقوى تفسيرا أوسع ، ولكنه يرجع إلى المعني السابق ، وهو الامتثال والاجتناب ، فماذا قال الإمام علي ؟ إنه يقرر عناصر للتقوى ويذكر لنا أن لها جوانب تتكون منها وهي تتمثل في أربعة أشياء : أولها : الخوف من الجليل ، وثانيها : العمل بالتنزيل ، وثالثها : الرضا بالقليل ، ورابعها : الاستعداد ليوم الرحيل ، تلك هي العناصر التي تتكون منها التقوى كما صورها الإمام علي ، وهي كما نري ترجع إلى الامتثال والاجتناب ، إذ إن المؤمن الذي يملأ قلبه خوفا من خالقه وخشية من ربه ، يحرص كل الحرص علي أداء ما طلب منه علي أحسن وجه ، ويبتعد عن اقتراف المعاصي وفعل المحرمات ، وهو كذلك يتأثر بما في القرآن الكريم من أوامر وتوجيهات وتنفعل نفسه بما يتلي عليه من آيات ، وهو يرضي بما قدر الله ، ويقنع بما قسم له ربه ، فلا تطلع من جانبه إلى ما في أيدي الناس ،

ولا خروج عن دائرة الدين إذا نزل به مكروه ، وهو يعمل لآخرته كأنه يموت غدا ، ويعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا، وهو يتزود لسفر الآخرة الطويل بالأعمال الصالحة .

المؤمن الذي شأنه هذا وحاله تلك هو المتقي ، وهو الفائز بالثواب الجزيل من ربه ، وهو الولي الذي لا يلحقه خوف من آخرته ، ولا يصيبه هم في دنياه ، ولا يعرف الحزن إلى قلبه سبيلا ، وله البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وقد بين ربنا جل شأنه هذه النتيجة الرائعة في كتابه الكريم حيث قال :

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (يونس : ٦٢-٦٤) .

إنها أسمي نتيجة ، وأنفس جائزة ، وممن ؟ إنها من الله مالك كل شيء ، والخالق لكل شيء ، ولمن ؟ إنها لأحباب الله وأوليائه ، وأصفيائه وأخياره ، والعارفين به بصدق ، والمؤدين واجبهم نحوه بإخلاص ، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تشيد بالمتقين ، وتبين منزلتهم العالية عند ربهم ، ومستقبلهم الباسم في آخرتهم ، وتلك باقة عطرة من الآيات القرآنية التي تتحدث عن سمو مستقبل أولئك الصالحين ، حيث قال الله - تعالي - :

﴿ إن المتقين في جنات ونعيم ، فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ، متكئين علي فرش مصفوفة وزوجناهم بحور عين ﴾ (الطور : ١٧- ٢٠) .

وحيث قال - جل جلاله - : ﴿ إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ، وكواعب أترابا ، وكأسا دهاقا ، لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا ، جزاء من ربك عطاءا حسابا ﴾ (النبأ : ٣١-٣٦).

وحيث قال - سبحانه - : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ . (النحل:١٢٨) وحيث قال تقدست أسماؤه : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (الطلاق : ٢ - ٣).

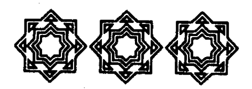
وحيث قال - عز وجل - : ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ (التوبة : ٤).

ويقول ربنا كذلك: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات:١٣). وهكذا نجد القرآن الكريم يتحدث عما ينتظر المتقين من المستقبل الباسم ، والحياة المشرقة ﴿ في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (القمر:٥٤-٥٥)

إنها الحياة العزيزة الكريمة الهانئة ، لأحباب الله الذين اتقوه في السر والعلن ، والذين لم يدنسوا دنياهم بالخطايا ، وهم في معية الله دائما ، وفي رعايته وفي الظل الظليل ، وهم جديرون بهذا الفضل الإلهي ، والكرم الرباني ، والعطاء العظيم ، والرضا عنهم من خالقهم الذي أحبهم . إن المتقين قد وصلوا إلى هذه المنزلة العالية بتقواهم ، والتقوى من أبرز فوائد الصيام ، ومن أهم أسراره وحكمه ، وربنا حين أمرنا بالصوم ، يريدنا أن نصل إلى مرتبة أحبابه المتقين ، وأن نحظى بسمو المنزلة وعلو المكانة وحلاوة الرضا منه سبحانه .

أيها الإخوة والأخوات : ليس الصيام أن نجوع ونظمأ ، وإنما الصوم أبعد

من ذلك وأكبر ، إنه تهذيب وتأديب ، ووصول بالنفس إلى الكمالات ، وهو تصفية للروح وتنقية للقلب ، وتصفية من شوائب المادة ، وتنقية من أكدار الذنوب إن الصوم تربية إلهية ، وتوجيه رباني ، فعلينا أن نستفيد من الصوم ، وأن نحقق هدف التقوى من هذه الفريضة ، ونسأل الله تعالي أن يؤهلنا لتحصيل التقوى ، ويتوج رءوسنا بها ، وأن يكون صومنا مقبولا ومرضيا عنه من مولانا ، اللهم آمين .



الحلقة السادسة

الصيام و فضيلة الصبر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

و بعد : فقد مر بنا في الحلقة الخامسة أن تقوى الله - تعالى من أبرز حكم الصوم وأقوى أهدافه ، و في هذه الحلقة يتواصل الحديث عن غير ذلك من حكم وأسرار ، ومن بين تلك الحكم و الأسرار ، تقوية الإرادة ، وتحصيل فضيلة الصبر ، ويتجلى ذلك في وضوح مما يعايشه الصائم في نهاره ، فهو يمسك عن أشهى الطعام دون تفكير فيه ، ويجوع و لديه أفضل أنواع الغذاء ، و يعطش و بين يديه أعذب المياه ، و يعف نفسه و بجواره زوجته الحلال ، إنه يمسك عن كل ذلك، و يبتعد عن جميع المشتهيات ، و ينأى عن كل ما هو محبب إلى النفس مع أن كل أولئك قريب منه وفي متناول يده ، و ليس هناك رقيب عليه في كل ذلك إلا الله الذي هو مع خلقه أينما وجدوا وحيثما كانوا ، وليس لديه سلطان عليه إلا الضمير الحي ..إن هذا الامتناع عن كل أولئك ، ناشئ عن إراده صلبة ، و عزيمة قوية ، وخوف من الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، ومصدر ذلك كله راجع إلى التحلي بفضيلة الصبر.

وإذا فالصوم أعظم مدرسة لتربية الإرادة الإنسانية وتقويتها ، وهو أكبر معوان للإنسان على الصبر الجميل ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه-،

عندما نادى الشباب وأمرهم بالتزوج عند تواجد الاستطاعة لديهم ،وبالصوم عند عدم القدرة على تحمل مسئوليات الزواج والإنفاق على بيت الزوجية ، فإنه - عليه الصلاة والسلام - لم يأمر بالصوم من فراغ ، وإنما كان هذا الأمر مبنيناء على الواقع ومن منطق الحقيقة ، وصدق - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال :

ـ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . (البخاري).

إنهما أمران نبويان : أولهما حث على التزوج عند القدرة على النفقة ، لان الزواج عندئذ يترتب عليه غض البصر وتحصين الفرج وبناء أسرة ، وثانيهما: اللجوء إلى الصوم عند عدم القدرة ، لان هذه العبادة تحد من ثوران الشهوة ، وتضعف تأججها ، وعندئذ يكون الاتزان وعدم الانحراف .

وبما أن شهر رمضان وما فيه من صوم يغرس في المسلم الصائم فضيلة الصبر ، فقد نسب الرسول - عليه السلام - الصبر إلى الصوم حيث قال :

ـ صوم شهر نصف الصبر ، وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر. (حديث صحيح).

وحيث قال : لكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم ، والصوم نصف الصبر.

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن ، وهو لماذا كان الصوم نصف الصبر ؟

وللإجابة عن هذا السؤال يقال : إن الإنسان توجد فيه ثلاث قوى مختلفة، أما القوة الأولى : فهي شهوانية ، وتوجد هذه القوة في البهائم ، وأما

الثانية : فهي غضبية ، وتوجد هذه القوة في السباع ، وأما الثالثة و الأخيرة : فهي روحية ، وتوجد هذه القوة في الملائكة ، إن هذه القوى مجتمعة في الإنسان وحالة في جسده وموجودة فيه ، فإذا تغلبت القوة الروحية على إحداهما كان ذلك نصف الصبر ، وفى الصوم يتغلب المسلم على قوته الشهوانية من بطن وفرج ، وكان الصوم بهذا المعنى نصف الصبر .

والصبر عدة المؤمن في حياته الدنيوية ، فهو الذي يجعله يجاهد نفسه وعدوه ، وهو الذي يدفعه إلى ركوب متن الأخطار ، والاستهانة بالصعاب مهما عظمت ، وبالصبر يحقق الإنسان آماله في الحياة ، وبه يجنى ثمرة عرقه وجهده ، والصبر حلية المؤمن ، وبه يؤدى الإنسان عبادة ربه ، ويبتعد عن المعاصي والمحرمات ، وهو الذي يجعل الشدائد بردا وسلاما على قلبه ، فإذا أصيب في نفس أو مال ، وإذا اختبر في شيء عزيز لديه ، وإذا نزلت به جائحة في زرعه ، وإذا اعتلت لديه صحته ، فانه لا يهتز أمام شيء من ذلك ، ولا يجزع مما ألم به ولا تتبرم نفسه ، ولا يضيق صدره ، ولا تعلو الكآبة وجهه ، لأن قوة الإيمان تملأ قلبه، والإنسان بحاجة ماسة إلي الصبر ، لأنه عرضة للآلام ، ولان الدنيا لابد لها أن تصيبه بسهم من سهامها، وأن تمتد يدها إليه بالبطش ، وتلك هي طبيعة الدنيا ، وهذا هو نظامها ، وهى ذات متناقضات وعجائب ، وليس في مقدور الإنسان التحكم في طبيعتها ، وليس في استطاعته أن يخضع الدنيا لإرادته ورغبته، أو يسخرها كما يحب وينبغي .

وإذا فالإنسان أمام سهام الحياة ومحنها بحاجة إلى الصبر ، لأنه العلاج الذي يزيل آثار ما ينزل به من كوارث وهو أمضى سلاح ضد نوازل الزمان ، وفضلا

عن ذلك ، فإن الأجر المترتب على الصبر عظيم إذ أنه ليس محدودا ولا مقدرا بكمية معينة ، مصداق ذلك قول ربنا في كتابه الكريم :

﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (الزمر : ١٠).

وقوله تعالى :

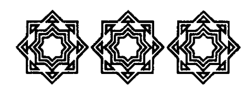
﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾(البقرة ١٥٤- ١٥٧).

ويكفى الصابرين فخرا واعتزازا أنهم في معية الله ، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ (البقرة : ١٥٣).

والصبر ليس نوعا واحدا وإنما هو أنواع ، ولكل نوع أجر يناسبه ، فهناك صبر على أداء عبادة الله وله ثلاثمائة درجة من الأجر ، وهناك صبر على ترك المعاصي والبعد عن المحرمات وله ستمائة درجة ، وهناك صبر لما ينزل بالإنسان من بلاء وله تسعمائة درجة .. هذا هو الصبر وتلك هي نتيجته ، فما أعظم تلك الفضيلة ، وما أفضل ما يترتب عليها من ثواب جزيل وأجر عظيم من الله تعالى .

أيها الإخوة والأخوات : إن الصوم مدرسة كبرى نتدرب فيها عمليا على الفضائل ، ونتعلم فيها ما يعود علينا بالخير في دنيانا وأخرانا ، وهذه المدرسة تصقل النفوس ، وتصنع الرجال الأقوياء ، بإرادتهم وعزيمتهم وصبرهم ، الرجال الممتازين بأخلاقهم ، الذين يواجهون مشاكل الحياة بقلوب جريئة ، مليئة

بالإيمان والصبر ، وعلينا نحن الصائمين أن نتعلم ونتعلم من هذه المدرسة الرمضانية ، وأن يكون صومنا صوما جامعا لكل المعاني السامية ، التي من أجلها جاء الصيام ، وأن نجسد تلك المعاني التجسيد الحي ، بحسن السلوك ، ومضاء العزيمة ، وبالصبر والجلد على أداء الواجبات ، وعلى البعد عن المحرمات، التي نهى عنها ربنا ، وبالرضا بالقضاء والقدر ، وبالتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل ، وبهذا يكون صومنا قد أدى دوره وأثمر وانتج ، والله نسأل أن يجعل صومنا مقبولا لديه، مرضيا عنه ، مثمرا نافعا ، وهو سبحانه خير مسئول وأكرم مأمول .



الحلقة السابعة

صوموا تصحوا

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فالحديث في هذه الحلقة ينصب علي فائدة من فوائد فريضة الصيام، وهي الفائدة الصحية التي يعود نفعها علي الفرد والمجتمع والرسول - عليه الصلاة والسلام - نبهنا إلى ما للصوم من فائدة صحية ، وبين لنا ما يترتب عليه من نفع صحي ، حيث قال عليه السلام : " صوموا تصحوا " (الطبراني).

وعلي ضوء هذا القول النبوي الموجز في مبناه ، الواسع الأبعاد في معناه سنستخرج من نهر النبوة ومعينها الفياض من الفوائد الصحية الكثير وقد أثبت الطب بعد أبحاث متواصلة ، ودراسات متنوعة ، الفوائد الجمة في ميدان الصحة، التي تنشأ عن الصوم ، والتي تحدث عنها رسول الإسلام منذ قرون كثيرة خلت وهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي الله يوحيه إليه وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحي ﴾ (النجم : ٣ - ٤).

ودائرة الفوائد الصحية للصيام دائرة فسيحة ، إذ أنها ليست مقصورة على صحة الأبدان فحسب ، ولكنها تمتد إلى صحة العقول والأرواح والمجتمعات أما أن الصوم مفيد للجسم صحيا ، فيتمثل ذلك في صلاح حال الجهاز الهضمي، الذي يشتمل على المعدة والأمعاء والقولون ، وفى صلاح حال هذا الجهاز وسلامته من المرض ، صلاح لحال غيره من الأجهزة الأخرى ، كالكبد والكلى وبعض الأجهزة الأخرى ، وفى الصوم وقاية وحفظ من بعض الأمراض، كالبول السكري وارتفاع ضغط الدم ، وهو مريح للأنسجة ، ومخفف لالتهاب المفاصل ، ومخلص من كثير من الفضلات الضارة بالجسم ، والبدن كأي آلة ميكانيكية أخرى ، بحاجة إلى فترة من الراحة ، تهدأ فيها الأجهزة الجسمية ، وتستعيد فيها نشاطها وحيويتها مما حل بها من عناء العمل، ولاشك أن إرهاق المعدة بالعمل المتواصل ، يعرض الجسم للإصابة بالمرض، ونحن نشاهد كثيرا ما يترتب على التخمة وامتلاء المعدة من أضرار جسيمة وأمراض خطيرة ، إذ أن البطنة رأس كل داء، وسبب الضرر ، ومما يؤيد ذلك ما قيل في هذا الشان " البطنة راس كل داء ، والحمية رأس كل دواء" وبما أن المعدة بيت الداء ، فمن المصلحة إذا للجسم ، أن يخفف العبء على هذه الآلة الهامة بعض الوقت ، وأن تستريح فترة من الزمن ، والصيام هو العلاج الرباني الذي يمنحها الراحة ، ويكسبها القوة ، ويقيها ويقي الجسم من غوائل الأمراض وشر العلل ، ولقد أدرك الأطباء الفوائد العظيمة للصوم ، ولهذا نراهم ينصحون بعض المرضى بالصوم ، ولأهمية الصوم قبل إجراء العمليات الجراحية نجد الأطباء لا يقدمون علي تلك الأعمال الجراحية إذا تناول المرضي شيئا من الطعام قبلها ثم إنه بإراحة المعدة والأجهزة الأخرى ، تكون راحة الأعصاب، وبراحة الأعصاب وغيرها من أجهزة أخرى ، ينام الإنسان نوما عميقا هادئا يشعر بعده بالنشاط

والحيوية ، وعلى ضوء ما تقدم ، ندرك ما للصوم من أثر صحي عظيم ، وما يترتب عليه من فوائد كثيرة ، تعـود على الجسم بالخير العظيم والنفع العميم .

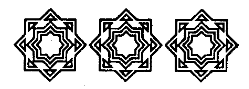
وأما أثر الصوم في صحة العقول فواضح ، إذ أن الارتباط قوى بين سلامة الجسم والعقل ، والصلة وثيقة بينهما ، ومتى صحت الأبدان وقويت الأجسام ، وحلت فيها الحيوية والنشاط والعافية ، صحت تبعا لذلك العقول ، والحكمة المشهورة تؤكد ذ لك وتقرر شدة الترابط بين الجسم والعقل ، وقوة الصلة بين كل منهما ، وتلك الحكمة هي " العقل السليم في الجسم السليم ".

فسلامة العقول تابعة لسلامة الأجسام ،وقوتها مستمدة من قوتها ، ونحن نلمس ذلك جيدا في حياتنا وندركه ، حيث إننا نرى المصاب بمرض جسدي يضعف عن التفكير السليم ، ولا يستطيع أن يعطى رأيا ناضجا ، لان ما أصاب جسمه من علة ، أنهك قواه العقلية وأصابها بالوهن والإعياء .. إننا نلاحظ ذلك واضحا أمامنا ، فالمريض جسميا يمتد أثر مرضه إلى عقله ، وتنعكس علته البدنية على تفكيره ، وعندئذ لا يستطيع أن يسهم برأي سليم ، أو يدلى بفكر مستنير .. وأما أثر الصوم في صحة الأرواح ، فهو يحلق بها في جو الطاعة ، ويخلصها من قيود المادة ، ويصفيها من الشوائب والأدران ، ويربى لدى الصائم فضيلة الصبر ، وصفة الأمانة ، وقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة .

أجل : فالصائم يترك شهوته ، ويمنع نفسه من تناول الطعام والشراب طيلة نهار شهر رمضان ، وليس وراءه قوة مادية ترغمه على ذلك ، وإنما دافع الدين ووازع الشرع ، هما اللذان أثرا في نفسه ، وأدى العبادة وهو هانئ بأدائها ، وقد يكون الصوم صيفا ومرهقا ، ولكن الأمانة في أداء هذه العبادة تحول بين الصائم وبين التفكير في تناول شيء من المحظورات ولو كان بعيدا عن أعين الناس، لعلمه

بأن الله مطلع عليه ، وأنه قريب منه ، ومراقب لحركاته وسكناته ، ومحاسبته على التعدي على حدوده ، وبهذا الضمير الحي ، وذلك الشعور النابع من الإيمان ، يصير الصبر طبيعة لديه ، والأمانة سجيه فيه ، والإرادة القوية شيمة له ، وبالصوم تتحقق مجاهدة النفس ، ومحاربة الشيطان والانتصار عليه ، وبسببه توجد العاطفة الإنسانية في القلوب ، وتتحرك في النفوس دواعي الخير ، وعندئذ تمتد الأيدي بالعطف على الفقراء وبه ينأى الصائمون من الوقوع في بؤرة الشر والمعاصى ، ويكفون ألسنتهم عن هتك الأعراض والسعى بالفساد بين الناس والتطاول عليهم بالألفاظ البذيئة والأقوال النابية ، ومتى ارتقى الصائم إلى هذه المرتبة من الكمال الروحي والصفاء النفسي ، وصل إلى درجة التقوى والخشية والخوف من الله ، وزال عنه سلطان الهوى ، وتخلص من جبروت النفس الأمارة بالسوء .

أيها الإخوة والأخوات : تلك هي فريضة الصوم وما فيها من خير ، وتلك هي آثارها الصحية في البدن وفى غيره من أجهزة أخرى ، وهى آثار ملموسة لكل إنسان ، والطب الحديث أثبتت دراساته صحة ما نطق به الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - منذ أربعة عشر قرنا أو تزيد ، حيث قال " صوموا تصحوا " إنها عبارة صغيرة تتكون من كلمتين ، ولكنها تحمل معاني كثيرة وفوائد جمة ، والرسول - عليه السلام - لا ينطق إلا بما هو حق ، ولا يقرر شيئا إلا على أساس الصدق ، وفى الحلقة القادمة سيتواصل الحديث في هذا الميدان الصحي ، وسيتناول أثر الصوم لسلامة المجتمعات والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير ، وأن يعلمنا ما جهلنا ، ويذكرنا ما نسينا ، وهو سبحانه الموفق والمعين .



الحلقة الثامنة

في الصيام صحة المجتمع

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون: أيتها الأخوات المؤمنات

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وبعد : ففي الحلقة السابقة كان الحديث عن الفوائد الصحية للصوم وقد عرفنا أهمية الصوم وأثره بالنسبة لسلامة الأبدان والعقول والأرواح ، وكيف أن الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – أبرز هذه الحقيقة الطبية منذ فجر الإسلام ومنذ عدة قرون كثيرة ، وإن الطب الحديث ظل عدة سنوات دائب الدراسة عاكفا على التوصل إلى ما قرره الرسول ـ صلي الله عليه وسلم ـ وفى آخر المطاف أعلن صحة الفوائد الصحية للصوم ، والآن مع الأثر الصحي للصوم بالنسبة للمجتمع الإنساني الإسلامي ، ومع الفائدة التي تعود عليه من قيام المسلمين بأداء هذه الشعيرة الإسلامية ، ولاشك أن المجتمع يتكون من الأفراد ، ومتى كان الأفراد يتمتعون بالصحة البدنية والعقلية والروحية ، كان المجتمع ذا أساس متين، ودعائم راسخة ، وبناء قوى وعاش عزيزا بأفراده ، سعيدا بأبنائه ، والمجتمع لا يكون قويا إلا بقوة من يكونونه ، ولا يكون صحيحا إلا إذا كان أفراده أصحاء ، وقد عرفوا أن الصوم يكون الرجال ، ويبث فيهم الفضائل ، ويغرس فيهم محاسن الأخلاق ، ويقوى أجسامهم ويصفى أرواحهم ، وينقى نفوسهم ويطهر قلوبهم ،

ويشحذ عقولهم، وما دام الأمر كذلك ، كان المجتمع بنفس الصورة ، وأضحى قويا في جميع الميادين ، قوى الأخلاق ، قوى البناء، قوى التكوين ، قوى الصحة، فالصوم إذا وسيلة إلى بناء الشخصية الفردية والجماعية ، وهو قانون عملي لإصلاح الصفات الإنسانية ، وتقويم ما اعوج من الأخلاق ، والصوم تطعيم رباني روحي ، وبهذا التطعيم تكون الوقاية للأبدان ، وصيانتها من كثير من الأمراض ، وبالجملة فهو للفرد وقاية ، وللجماعة صيانة ، وتلك حكمة من حكم لقمان الحكيم لأبنه ، تبين لنا وله ما يترتب على امتلاء المعدة بالطعام من آثار سيئة ، قال لقمان لابنه :

- يا بنى : إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

وإنها لحكمة نافعة ، ومعناها واضح ، إذ انه عندما تكون المعدة ممتلئة، يصاب الجسم بالثقل الشديد ، ويلحقه التعب والإرهاق ، وتنعكس هذه الأعراض على العقل ، فيكون آنذاك غير إيجابي ، وعندئذ يكون نائم الفكرة ، وعديم الثمرة ، وتختفي حينذاك الحكمة التي هي نتاج العقل ، وأثر من آثاره .

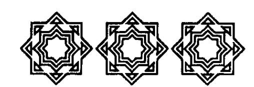
ثم إنه بالإضافة إلى ذلك ، فإن الأعضاء تقعد عن عبادة الله ، وتكسل عن أداء واجبها ، وتقصر فيما هو منوط بها ، وهذه النتيجة مطردة ولا تتخلف ، إذ أن وظائف العقل والأعضاء الأخرى لابد من توقفها عن أداء واجباتها ، مادام الجسم ثقيلا بثقل المعدة ، متعبا تبعا لتعب الجهاز الحساس .. إنها حقا لحكمة سامية ، وإنه لكلام له وزنه ومغزاه ، ولقد كان الناس إلى عهد قريب ، يفهمون أن الصيام

ما هو إلا شأن من الشئون الدينية وكفى ، وأنه لا صلة له بشيء آخـر ، ولكن بعد أن انتشر الطب وتقدم ، واتسعت ميادينه وآفاقه ، وبعد أن أثبتت البحوث الطبية العديدة، والدراسات المستمرة الناجحة ، ما للصوم من مزايا صحية ، وما يترتب عليه من فوائد طبية نافعة ، بعد ذلك كله ، علم ما للصوم من آثار طيبة، وعرف عنه أنه في كثير من الأمراض من مقومات الصحة الجسمية ، وقد استفاد الطب من ناحية الصوم ما لم يستفده من ناحية العلاج بالعقاقير ، وهاهو ذا رسولنا العظيم صلوات الله وسلامه عليه قد سبق أساطين الطب منذ زمن بعيد ضارب في أعماق التاريخ ، في بيان أثر الصوم من الناحية الصحية ، حيث قال عليه الصلاة والسلام: ـ اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا.

ولقد قال أطباء الإفرنج : " إن صوم شهر واحد في السنة ، يذهب الفضلات الميتة في البدن مدة سنة كاملة ... وإنه لكلام صادق ، وهى قولة حق ، فالصوم يخلص الجسم من الفضلات المتراكمة الضارة ، والتي هي حبيسة في البدن وداخل أجهزته ، وهكذا كانت فريضة الصوم ذات فوائد جمة ، فضلا عن أنها عبادة يترتب عليها جزاء غير محدود ، وثواب لا يعلم مقداره أحد إلا الله تعالى ، وفى هذا الشان جاء الحديث القدسي الذي يبين عظم جزاء الصوم لانه منسوب إلى الله تعالى الذي قال فيه : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزى به .

فالله نسب الصوم إلى ذاته الكريمة " فإنه لي" وهو الذي سيتولى جزاء الصائمين ، ولابد أن يكون الجزاء غزيرا لأنه من الرب الكريم ، الذي لا تنفد خزائن عطاياه ، والصوم سر بين العبد وبين ربه ، وهو عمل سلبي لا يدخله رياء ولا سمعة .

أيها الإخوة والأخوات : إن الصوم شرعه الله لمصلحة خلقه ، وكلفهم به من أجل منافع كثيرة تعود عليهم ، وإنه كما عرفنا عبادة ، ولهذه العبادة أعظم ثمرة، وهي الجزاء الأوفى من الله ، ثم هو تهذيب لأخلاق الصائمين ، والسمو بهم وتكوين شخصياتهم وغرس روح الفضائل في نفوسهم ، وهو مع هذا يستهدف صحة المجتمع ، وهو حين يستهدف الصحة ، ينظر إليها من جميع جوانبها ، ويعمل على أن يكون المسلم صحيحا في كل الميادين جسميا ، وعقليا ، وروحيا وإنسانيا ، هذا هو الصوم ، إنه لنعمة من الله ، ومنحة منه سبحانه إلى خلقه ، وإنه لذو مزايا كثيرة ، ومنافع غزيرة ، وعلينا نحن الصائمين، أن ندرك كل ما ينطوي عليه الصوم من فوائد ، وان نخرج من شهر الصوم بحصيلة تفيدنا ، ولنضع في أذهاننا ، أنه إذا لم نصن صومنا فلا فائدة منه ، وإذا لم نحصنه مما يشوبه فلا ثواب يرجى من ورائه ، إننا نجوع ونظمأ ، ونمتنع عن الطيبات من الرزق ، فليكن وراء ذلك نفع لنا ، ولن يتأتى هذا النفع إلا بالتحصين والبعد عن الآثام ، ولنتجنب عند فطرنا امتلاء المعدة وتحميلها ما لا تطيق ، فإن هذا التصرف يأتي بنتيجة ضارة ، وهذه الطريقة لا تفيد صحيا من الصيام ، والله نسأل أن يجعل صومنا مقبولا لديه ، وهو سبحانه خير مسئول .



الحلقة التاسعة

مدرسة شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فها نحن أولاء في موسم النفحات الربانية ، وأيام الفيوضات الإلهية، وليالي الخيرات والبركات ، وهانحن أولاء في شهر رمضان المبارك ، وأولئك هم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ، يعيشون في رحابه ويستظلون بظله الوارف ، ويجلسون على موائده الرحبة الفسيحة ، تلك التي تحوى اعظم زاد للقلوب ، وتغذى بما تشتمل عليه من ألوان روحية النفوس ، إننا في شهر رمضان المبارك ، الشهر الزاخر بكل خير ، العامر بقراءة القران الكريم والتماس النفحات منه ، إنه شهر ذو شرف عظيم ، وفضل سابغ ، وهاهو ذا رسولنا رسول الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه - يخبرنا عن قيمة هذا الشهر القرآني ، ويبين لنا فضله وشرفه ، حيث أنبأ أمته بأن أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، كما أنه - عليه الصلاة والسلام - أشاد بهذا الشهر الكريم أيما إشادة ، وقرر أن المسلمين إذا كانوا يدركون تمام الإدراك حقيقته وسموه وعظمته، وما حباه الله من مزايا وخيرات ونفحات ، لو أنهم أدركوا كل الإدراك هذه الفضائل التي هي من خصائص شهر رمضان المبارك ؛ لتمنوا أن يكون هذا الشهر الكريم الزمن كله ، وألا يكون مقصورا علي أيام معدودات ، ولرغبوا أن

يعيشوا كل حياتهم في ظل النفحات الرمضانية ، وفي هذا الشأن يقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه -:

- لو يعلم الناس ما في رمضان من الخير لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها.

إن شهر رمضان معظم في الأرض وفي السماء وله شرفه وفضله ، وهو ظرف للصفاء النفسي والقرب من الله وفيه يسمو الصائم ويحلق بروحه في عالم الصفاء ، وبهذا الصفاء والنقاء والسمو ، يكون الصائم شبيها بملائكة الله المقربين، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ..

إن هذا الشهر الرمضاني .القرآني ، لهو مدرسة كبري لا تباري ، وليست هناك مدرسة أخري تضارعها ، لأن رب العزة - جل شأنه - هو الذي أنشأ تلك المدرسة ولأن أستاذها هو خير البشرية محمد - صلي الله عليه وسلم - ، ومواد هذه المدرسة تختلف عن مواد غيرها من المدارس التي هي من صنع الإنسان ، إذ أنها ليست نظريات تحتاج إلى براهين ، وهي ليست معايير رياضية ولا معادلات ، وإنما هذه المواد علوم روحية إنسانية أخلاقية ، وصفاء نفسي ، وكمال حسي ومعنوي ، وعبودية حقيقية لله تبارك وتعالي ، وطاعة مستمرة للخالق جلت قدرته ، وخشوع له سبحانه وخضوع ، فإذا جد الإنسان واجتهد، واستفاد من هذه الدراسات المتميزة ، التي هي من صنع الله ، وصقل نفسه بما توحي به تلك المدرسة وما تهدف إليه ، فإنه - والحال هذه يحظي بالنجاح الحقيقي ، وينال شهادة التقدير من الرب القدير ، ويحصل علي مكافآت إلهية ، وعطايا ربانية ، وليست هذه المكافآت من النوع المتعارف عليه بيننا في دنيانا إنها ليست درجة وظيفية ، ولا علاوة تشجيعية أو تقديرية أو استثنائية ، وليست

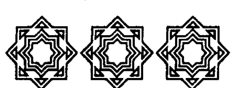
ربحا ماليا دنيويا زائلا ، ولكنها رحمة من الله الرحيم ، ومغفرة ورضوان عظيم، وهي عتق من النار وعذاب الجحيم ، وفوز بالجنة وما فيها من نعيم دائم ، وعز خالد ، وتمتع بما فيها بما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب بشر ، وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال :

ـ أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن أحد قبلي : أما واحدة: فإنه إذا كان أول ليلة منه نظر الله إليهم ، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة : فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة ، وأما الرابعة : فإن الله يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي ، أوشكوا أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي، وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعا (البيهقي).

إنها مكافآت نفيسة تتناسب مع كرم ربنا ، وإنه لعطاء واسع يتفق وفضل المنعم العظيم ، ولمن هذه المكافآت ؟ ولمن ذلك الفضل ؟ أهو لأي صائم كان صومه ، أم هو خاص بنوع معين من الصائمين ؟ إن هذا الفضل الرباني ليس لكل الصائمين ، وإنما هو لفئة معينة ولنوع خاص منهم ، إنه لأولئك الذين يصومون صوما حقيقيا ، ويؤدون تلك العبادة علي اكمل وجه واجمل صورة وأبدع كيفية ، ويتمثل الصوم الحقيقي في كف الصائم نفسه عن الأكل والشرب ومباشرة الزوجة من قبيل الفجر إلى غروب الشمس ، وكف جميع الجوارح وسائر الأعضاء عن كل ما يتنافي مع جلال فريضة الصيام ، وذلك بإمساك اللسان عن اغتياب الناس ، والسعي بينهم بالفساد ، وبمنع اليدين عن الشرور والآثام ، والرجلين عن السير في طريق الشيطان ، والأذنين عن سماع ما لا يرضي الرحمن والعينين عن النظر إلى المحرمات من النساء وبتطهير النفس من

الحقد والحسد والعداوة والبغضاء ويسمو الروح ونقائها ، وبامتلاء القلب خوفا وخشية من الله ، وبتوثيق الصلة بين الصائم وبين رب العزة جل وعز ، إن هذا الصيام الذي يكون بتلك الصورة وعلي هذا النسق ، لهو الصيام الحقيقي ، الذي يتمثل فيه الصدق ويترتب عليه الأجر والثواب، والمسلم الذي يكون صومه بتلك الكيفية الإيمانية ، لهو الصائم الصادق مع ربه الذي يفوز بالرضا من الله ، ويحصل علي أجزل الأجر وأفضل المكافآت .

أيها الإخوة والأخوات : إن الله لنفحات كثيرة ، وإن نعم الخالق العظيم لغزيرة ، ولكنها تتضاعف في شهر رمضان المبارك ، ورب العزة - جل شأنه -، جعل أجر الصيام بلا حدود ولا حساب ، لأن الصوم منسوب إلى الله تعالي ، وهو الذي سيجازي علي ذلك الصوم المنسوب إليه ، وهذه النسبة تستلزم عظمة الأجر وضخامة الثواب ، فإذا كنا نريد الفضل من ربنا ، والجزاء العظيم من خالقنا ، فما علينا إلا أن ننقي صومنا من كل ما يدنسه ، وأن نستخدم أعضاءنا فيما يرضي الله تبارك وتعالي، وبهذا ينظر الله إلينا نظرة رضا ، وبذلك يتجلي علينا خالقنا بالرحمة، ويغدق علينا كثيرا من إحسانه ، فيا أيها الصائم : زن صومك بميزان الإسلام ، واعرض علي قلبك حالك في شهر رمضان ، فإن وجدت صومك قد تحققت فيه المواصفات التي طلبها الإسلام ، وإذا رأيت أن قلبك مستريح لهذا الصوم وإنه لم يشب بدنس ، فاعلم أن ربك لن يحرمك من الفضل والأجر ، وإذا اكتشفت أن هناك شوائب دنست صومك ، فعليك إذا أن تغير هذه الصورة ، وتنقي جسمك من الأخلاط والدنس ، لكي يكون الصوم مقبولا لدي الله ولتنال الخير والثواب العظيم من ربك ، والله الموفق إلى كل خير.



الحلقة العاشرة

رمضان وعاء الدساتير الربانية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وبعد : فشهر رمضان سيد الشهور وعميدها ، وهو وعاء خير ومعين فضل وقد حباه الله تعالي بمنزلة عظمي ومكانة عليا ، ولنتجول بعقولنا وأرواحنا في بستان هذا الشهر ، ولنسرح الطرف علي مائدته الممتدة ، لنعرف ما في شهر الصوم المبارك من مزايا ، ونحن من خلال هذه الجولة في بستان ذلك الشهر ، ونظرتنا إلى مائدته الشهية ، سنجد أن جولتنا موفقة ، وأننا حققنا أعظم أمنية ، حيث إن هذا الشهر المبارك كان علي موعد مع العظمة والشرف ، والسمو والرفعة، فهو احتضن دساتير السماء ، وقوانين الله تعالي إلى خلقه ، تلك التي تنير الطريق للحائرين ، وترشد التائهين في الحياة إلى أقوم سبيل وتقود الإنسانية إلى جادة الطريق ، وتبصرهم بما يضمن لهم الحياة السعيدة ، ويكفل لهم العيش الناعم الهانئ في الدنيا والآخرة . إنه في شهر رمضان المبارك ، شهر الصوم والجوائز أنزل ربنا صحفه علي حبيبه وخليله إبراهيم - عليه السلام - وأنزل فيه الزبور علي داود -عليه السلام-، وفيه أنزل التوراة علي موسي -عليه السلام- ، وانزل كذلك الإنجيل علي عيسي - عليه السلام - فيه ، ولكي

يكون شرف هذا الشهر كبير الحجم في عظمته ، غزير الفضل في سموه ، فإن رب العزة جل شأنه توج هذا الشهر المبارك ، بإنزال القرآن الكريم فيه :

﴿ شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدي للناس ، وبينات من الهدي والفرقان ﴾ (البقرة : ١٨٥).

والقرآن الكريم هو عنوان هذه الأمة المحمدية ، وأساس بنيان دينها ، ومصدر كرامتها ، وهذا الشهر المبارك استمد عظمته من نزول تلك الدساتير السماوية وعلي رأسها القرآن الكريم ، الذي جاء بالعقيدة الصافية عقيدة الإيمان والتوحيد ، والذي دلنا علي طريق المعرفة والهداية وأرشدنا إلى كل ما نحن في حاجة إليه في ديننا ودنيانا وأخرانا ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ (القدر : ١ - ٥).
وحيث قال :﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس ، وبينات من الهدي والفرقان ﴾

إنها دساتير السماء نزلت في سيد الشهور شهر رمضان ، وإنها شرائع الله إلى خلقه ، كان هذا الشهر المبارك وعاءا لها ، وإنها القوانين الربانية التي هي لصالح عباده ، جاء بها رسل الله إلى الإنسانية ، لتدلها علي الصراط المستقيم ، وتنير لها معالم الحياة ، وترشدها إلى ما فيه خيرها وسعادتها ، وصلاحها وفلاحها، وعزها وأمنها وسلامتها ، ولم تكن هذه هي المزايا التي يمتاز بها شهر رمضان فحسب ، إذ أن هناك مزايا أخرى ومناسبات تاريخية وأحداثا سجلها

الزمان ، ومن هذه المزايا التي توج الله بها هامة هذا الشهر ، تلك الليلة المباركة ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، ثم ها هي ذي غزوة بدر الكبرى ، كان وقوعها في هذا الشهر ، وهي أول معركة بين جيش الإيمان وبين جيش الكفر ، ومع قلة المسلمين آنئذ وكثرة المشركين حينذاك ، كان النصر للمؤمنين ، والهزيمة من نصيب الكافرين ، إن هذه المعركة التاريخية الهامة ، وذلك الصدام بين المسلمين والكفار ، كان في السنة الثانية من الهجرة وفي اليوم السابع عشر من شهر رمضان ، ولقد تجلي نصر الله لأحبابه المؤمنين في تلك الغزوة ، وكان فيها الدرس القاسي لأعداء الإسلام وحلت بهم النكسة الكبرى ، التي أوهنت قواهم، وأذلت كبرياءهم ، وكانت هذه الملحمة وتلك الموقعة نقطة تحول في تاريخ الإسلام والمسلمين .

وفي هذا الشهر أيضا كان فتح مكة ، والانتصار الأكبر ، وتحطيم الأصنام ، وتطهير الكعبة مما يشوه جمالها من أصنام تعبد من دون الله ، وهياكل وتماثيل يتقرب إليها الكفار بالقربات ، ويتخذونها آلهة وهي لا تملك نفعا ولا ضرا، وقد تبع ذلك الفتح عفو الرسول – عليه الصلاة والسلام – عن أولئك الكفار الذين طالما حاربوه وتآمروا علي قتله ، ووضعوا الأشواك في طريق دعوته ، ولكنه – عليه السلام – فاجأ أعداءه بهذا العفو المحمدي ، وكانت نتيجة ذلك العفو دخول الناس قي دين الله أفواجا ، وانضواؤهم تحت لوائه لتأثرهم بهذا الموقف المشرف موقف العفو عند المقدرة والصفح الجميل والتسامح .. كان هذا الفتح الأكبر في العشرين من شهر رمضان وفي السنة الثامنة من الهجرة ..

وفي منتصف شهر رمضان وفي السنة الثالثة من الهجرة ، ولد حفيد الرسول ، وهو الحسن بن علي ، هذا الذي كان شبيها بالرسول - عليه الصلاة والسلام - والذي كان يداعبه ويحمله ويسر به كـل السرور ، وهذا هو أبـو بكـر - رضي الله عنه - صلي العصر ذات يوم ثم خرج مع علي - كرم الله وجهه - ، فرأي أبو بكر الحسن يلعب مع الصبيان ، فأخذه وحمله وهو يقول :

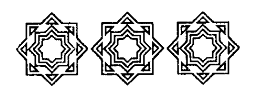
- بأبي شبيه بالنبي ، ليس شبيها بعلي . وعلي كرم الله وجهه يضحك لما يسمع.

وفي شهر رمضان المبارك ، شرعت زكاة الفطر ، توسعة علي الفقراء ، ورحمة بالبؤساء ، هذا هو شهر رمضان ، ، قد حوى كل ذلك الفضل ، وهو بحق شهر عظيم ، ولقد سجل الزمان في إطار التقدير تلك الأحداث العظيمة التي وقعت في هذا الشهر .

وإن شهرا كهذا لجدير بالاحترام والفضل ، خليق بالسمو والتقدير ، ويكفي لبيان فضل هذا الشهر وعلو منزلته ، تحدث القرآن الكريم عنه وذكر الله له في كتابه الكريم دون غيره من سائر الشهور وربط اسمه بنزول القران الكريم فيه، فهو بهذا التشريف الإلهي كان غرة الشهور وسيدها ، وكان محلا للاحترام والعلو .

أيها الإخوة والأخوات : إن شهر رمضان إذا ذكر اسمه ذكر معه الخير ، وإذا حل ضيفا عزيزا علينا حل الخير كله علينا ، وأفاض ربنا ببركاته ورحماته علي أحبابه الصائمين ، فمرحبا بشهر الصوم والقرآن ، وموسم النور والفيوضات

السماوية ، مرحبا بهذا الشهر العظيم وموكبه النوراني ، ونحن المسلمين نبتهج كل الابتهاج بقدومه ، ونسر كل السرور بحلوله ، لأنه يأتينا بزاد أرواحنا ، وغذاء قلوبنا ، وعلاج نفوسنا ، فعلينا أن نضاعف في هذا الشهر ما يقربنا لله من أعمال صالحة ، وأن نحرص كل الحرص علي فعل كل ما يرضي ربنا ، ليكون لنا رصيد كبير من الحسنات ، ولنفوز بنعيم الجنات ، والله نسأل وهو خير من يسأل ، أن يوفقنا لعمل الخير وصالح العمل ، وأن يبعدنا عن السيئات ويبعد نزغات الشيطان عنا ، ويحفظنا من الشرور والأشرار ، إنه سبحانه سميع الدعاء ، محقق الرجاء آمين .



الحلقة الحادية عشرة

لماذا كان شهر رمضان شهر الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

وبعد : فلماذا نؤدي فريضة الصوم في شهر رمضان دون سواه من الشهور ؟ ولماذا كان هذا الشهر بالذات وقتا للصوم ؟ وللإجابة عن ذلك نقول: إنه مما لا شك فيه أن هذا الشهر وجدت فيه خصائص لم توجد في غيره من الشهور الأخرى ، وأن هناك مؤهلات رشحته ليكون دون غيره محلا للصوم ، ومن الضروري أنه قد امتاز بشيء ذي شأن كبير ولهذا كان خليقا بأن يكون أولى من غيره بأداء فريضة الصيام فيه ، والواقع يؤكد ويقرر ، والحقيقة تؤكد كذلك ، بأن شهر رمضان قد اختير لأداء عبادة الصيام فيه ، وأن أيامه الغراء كانت وعاءا لهذه العبادة ، لأنه هو الشهر الذي اكرم الله فيه الإنسانية بنزول القرآن الكريم فيه ، وصدق رب العزة تبارك وتعالى حيث قال :

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر﴾

وأول باقة في القران الكريم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في هذا الشهر حين كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بغار حراء ليعبد ربه هناك على دين إبراهيم عليه السلام - وعندما هو في خلوته تلك ،

جاء جبريل عليه السلام - وقرأ عليه قول الله عز وجل :

﴿ اقرأ بسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١ - ٥) .

تلك هي بداية نزول الوحي الإلهي ، وكان هذا النزول أول الغيث ، ثم تتابع بعد ذلك نزول القران على الرسول ، كما أن القرآن نزل كله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر التي هي جزء من شهر رمضان، والقرآن الكريم مصدر الهداية الإنسانية ، وهو المصباح المنير الذي بدد غياهب الكفر وظلام الشرك ، وهو النور والشفاء ، وفيه الخير كله والسعادة كلها ، وهو البعث الجديد ومبدأ الحياة الجديدة للنوع البشرى ، إذ أنه جاء بعقيدة التوحيد الصافية صفاء الماء ، ووجه الإنسانية إلى المعرفة بالله ، بعد أن كانت تتخبط في دياجير عبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات ، وبين لها سبيل النجاة والنجاح ، وأرشدها إلى طريق المعرفة بربها الخالق العظيم المعبود بحق ، والقرآن الكريم زاخر بالآيات البينات ، التي تقرر وحدة الخالق العظيم ، وتفرده بالألوهية دون سواه ، وتقيم الأدلة الساطعة على أن كل مخلوق في هذا الكون من صنع الله ، وأن كل ما يجرى في السماء أو في الأرض ، أو في الجو أو في البحر، بإرادة الله ومشيئته ، وأن النعم منه والفضل كله يرجع إليه ، وأنه المالك والمعز والمذل والمحيى والمميت والمانح والمانع ، والمحاسب والمجازى ، ولنعش في رحاب بعض الآيات التي جاءت في القرآن المعجزة ، والتي ترشدنا إلى بالغ قدرة الله ، واتصافه بالوحدانية والألوهية الحقة ، وإلى أنه المستحق للعبادة دون غيره ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ، تولج الليل فى النهار وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب ﴾

(آل عمران : ٢٦ - ٢٧).

وحيث قال ﴿وإلهكم إله واحد ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾

(البقرة : ١٦٣).

وحيث قال : ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء ، فاعبدوه ، وهو على كل شيء وكيل ﴾ (الأنعام : ١٠٢).

وحيث قال : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ (الأنبياء : ٢٢).

وحيث قال : ﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ﴾ (المؤمنون : ٩١).

وحيث قال : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءا وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وانتم تعلمون ﴾ (البقرة : ٢١ -٢٢)

وحيث قال :﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد﴾ (الإخلاص : ١-٤) .

هذا هو القران الكريم جاء بهذه الآيات التي مر ذكرها ، وهناك آيات كثيرة سوى ذلك مبثوثة في كتاب الله تعالى ، وهذه الآيات وغيرها تدل على الله وقدرته وعظمته ، ووحدانيته ، وتبين بما لا يدع مجالا للشك العقيدة السليمة

وتوضحها ، وترسم للإنسانية طريق فلاحها وسبيل سعادتها ، وتأخذ بيدها إلى المعرفة الحقيقية بالله تعالى وخالق الكون كله ، والصانع العظيم الذي أتقن ما صنع: ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شئ ﴾.

إن كتاب الله تعالى لثروة كبيرة لأمة الإسلام ، وذخيرة عظمى لأتباع هذا الدين العظيم ، وهو المعجزة الدائمة المحفوظة بحفظ الله :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) .

إنه القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين جبريل - عليه السلام - على قلب حبيب رب العالمين ، بلسان عربي مبين بلغ القمة في فصاحته ، والذروة في إعجازه وبلاغته : ﴿ نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ﴾ (الشعراء : ٩٣ - ٩٥)

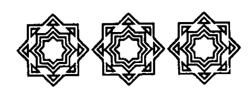
إنه كما قال ربنا عنه :﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ (يونس : ٥٧ -٥٨).

أيها الإخوة والأخوات : إن شهر رمضان المبارك شرف بنزول القرآن الكريم فيه ، وكان مطلع الصبح الصادق في ليل الإنسان الحالك وهذا مما يؤهله لأن يكون شهر الصوم ، وأن يقترن به كما يقترن الصبح الصادق بالصوم كل يوم، وكان هذا الشهر أفضل شهور الله ، بما خصه ربنا من يمن وسعادة وبركة ورحمة وبما بينه وبين القلوب الإنسانية السليمة من صلة خفية روحية ، وذلك بصيام نهاره وقيام ليله ، ثم إن بين الصوم والقرآن الكريم صلة عميقة ورابطة متينة ، وبهذه الصلة بينهما تكون الرحمات الإلهية والنفحات الربانية ، ولـذا كان

الرسـول - صلوات الله وسلامه عليه - يكثر من قراءة القران في شهر رمضان ، ومن هنا يقول ابن عباس - رضى الله عنه - ، كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله - صلى الله عليه وسلم- حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة. (البخاري) .

وعلى ضوء ما تقدم ، فشهر رمضان قد اختاره الله للصوم فيه دون غيره من الشهور لنزول القران الكريم فيه ، وعلاوة على ذلك فله مزايا أخرى ذات أهمية كبرى ، ففيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وفيه ما فيه من أحداث ومناسبات ، وخيرات ونفحات .

إنه لشهر عظيم حقا ، وإن أيامه لأيام خير ، وإن لياليه لذات فضل فلننتهز تلكم الأيام المباركة ، والليالي المعظمة ، أيام وليالي شهر رمضان المبارك، ولنعمرها بذكر ربنا ، والصوم الذي يرضى خالقنا ، والعمل الصالح الذي ينفعنا في أخرانا ، ولنكن أمناء مع الله في كل ما أمرنا به أو نهانا عنه ، لنحظى بكرمه الإلهي ، وننال الخير في دنيانا وأخرانا ، والله الموفق .



الحلقة الثانية عشرة

بالصوم يرقى الصائم

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فإن العبادة تذكر الإنسان بمن خلقه وهو الله ، وتشعره بألوهيته عز وجل ، وتجعله يحس إحساسا عميقا بأن الله تعالى هو الذي يملك كل شيء ، وأنه القادر على كل شيء ، والعالم بكل شيء ، والمتصرف في كل شيء وبالإضافة إلى هذا الشعور والإحساس الإيماني ، فإن العبادة تدعم الصلة ، وتقوى الرابطة بين الإنسان وربه ، ثم هي وسيلة إلى غاية سامية ، وهى التربية الروحية، واليقظة القلبية ، والتهذيب النفسي ، والتوجيه إلى ميادين الفضائل والخير ، والله تبارك وتعالى يريد لعباده أن يحلقوا في عالم الرقى عن طريق عبادته، وان يكونوا أهلا لرضاه ومحلا لغزير بره وعطاياه، ولن يتحقق ذلك إلا بصفاء أرواحهم ، ونقاء نفوسهم وطهارتها من الشوائب ، ونظافتها من الأقذار.

والصيام عبادة تطهيرية ، ولون من ألوان العبادة ووسيلة لأفضل هدف وأعظم غاية ، ولكي يثمر الصوم ويحقق الغاية السامية منه ، فلا بد أن يكون هذا الصوم بكل الجوارح ، لا بالبطن والفرج فحسب ، ولا بد أن يكون مصحوبا بإخلاص النية لله رب العالمين ، والعبادات المتنوعة تؤدى إلى تكوين الفرد تكوينا سليما مبنيا على الفضائل ، وبالتالي تؤدى إلى خلق مجتمع

مثالي، مجتمع فاضل إنساني ، مجتمع مترابط متواد يسوده الحب والوئام ، وترفرف فوق ساريته راية الإخاء والتكافل والتضامن.

والصيام كفريضة من الفرائض الإلهية ، وعبادة من العبادات التي كلف الله عباده بها ، يوجه سلوك الفرد التوجيه السليم ، ويبني أخلاقه البناء القوي ، ويوقظ ضميره ، ويعدل مسار حياته إلى ما هو أفضل ، ويسمو به إلى أفضل مستوي من المثالية ، ما دام يؤدي هذه الفريضة أداء أمينا صادقا ، وما دام يتأثر بهذه العبادة ، فلا اقتراف لمنكر ، ولا ارتكاب لوزر ، ولا وقوع في محرم ، وما دام يوجه أعضاءه إلى ميادين الطاعة والبر والخير ، وما دام القلب طاهرا من الملوثات ، متصلا بخالقه ، بعيدا عن الدنس ، والصيام الحقيقي الإيجابي ، يربط الوجدان بالعمل والفرد بالمجتمع ، والدين بالحياة ، ومن هنا يرتبط الفرد بمجتمعه في تعاطف وإيثار ، وبذل وتضامن وتكافل وتضحية ، والصوم لا يكون صياما حقيقيا ذا أثر دنيوي وأخروي ، إلا إذا صام القلب عن الحسد والضغينة ، والأحقاد ونوازع الشر ، وأشرق بنور الإيمان ، وأضاءت جوانبه نتيجة الصلة بالله تعالي ، ومثل هذا الصوم الذي يكون القلب فيه موصولا بالله ، مرتبطا بالفضائل ، خاليا من الأمراض ، والذي تكون فيه الأعضاء بعيدة عن الآثام ، وموجهة إلى صالح الأعمال ، بالإضافة إلى الامتناع عن المأكل والمشرب واللقاء الجنسي في النهار ، إن مثل هذا الصوم صوم صفوة الصفوة من المؤمنين بالله ، وصوم العارفين بخالقهم حق المعرفة ، الذين يحرصون علي رضاه ، ويعملون علي القرب الحقيقي منه ، من خلال ما يؤدون من عمل صالح متقن أمين ، وما يقومون به من عبادة خالية من الشوائب والعيوب ، ويتفاعل قلوبهم مع ما يؤدون من عبادات ، وما يرسخ في نفوسهم من فضائل إنسانية حميدة ..

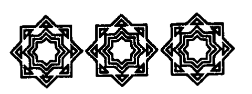
إن مثل هذا الصوم مقبول من الله ، والسماء تفتح أبوابها لاستقباله ، ويتبع ذلك الجزاء العظيم من الله ، وإن مثل هؤلاء الصائمين ، لهم المنزلة العالية عند ربهم ، ولهم في دار البقاء اسمي المكافآت ، وأعظم المنازل ، أما أولئك الذين يصومون صوما خاليا من روحه ، بحيث يمسكون عن شهوتي البطن والفرج ، ولا يمسكون ألسنتهم عن قول الزور ، ولا عن الكذب في القول ، ولا عن تمزيق أعراض الناس ولا عن تقطيع الروابط الاجتماعية ، ولا يكفون أبصارهم عن النظر إلى المحرمات من النساء ، ولا يمتنعون عن الأمور الأخرى التي نهي عنها الله ، إن هؤلاء الذين يكونون في صومهم علي هذا النحو وبتلك الطريقة ، لن يستفيدوا من صيامهم ، ولن ينالوا من ورائه إلا التعب والنصب ، وينطبق عليهم قول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – :

- "كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر" . إذ أن مثل هذا الصوم قد ضاعت حكمته ، وتلاشت فوائده الروحية والخلقية ، والإسلام لا يكتفي بالصورة الشكلية الظاهرية للصوم ، وإنما يريد أن تتحقق في الصوم مقاصده وغاياته ، ولذا قال الرسول – صلوات الله وسلامة عليه – :

- "من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " ففائدة الصوم تضيع في ظل القول الآثم ، والفعل الشائن ، وليس للصائم ثواب من صومه وليس لله حاجة في أن يترك الصائم طعامه وشرابه ما دام بهذه الصورة الخارجة عن الإطار الإيماني ، والحديث ذكر قول الزور ويقاس عليه الإثم بجميع ألوانه والمعاصي بجميع صورها ، والأعمال الضارة في شتي مظاهرها ، وقد نهي ربنا عن كل ألوان الشر لأنها رذائل ويكمن فيها الضرر ، والنهي عن الرذائل ليس خاصا بالصوم ، وإنما هو نهي عام وشامل ، نهي يعم جميع

الأوقات، وينصب علي كل الأزمنة فإذا حدث شيء من تلك الرذائل في غير شهر رمضان ، فإن فاعلها يعرض نفسه لغضب الله ، ويتضاعف جرم هذه الرذائل في شهر رمضان ، وبالتالي يتضاعف الغضب الإلهي ، والعقاب الرباني ، وما دام الأمر كذلك ، فليحذر الصائمون من أن يفعلوا شيئا يضر بصيامهم ، ويعرضهم لغضب ربهم وشديد عقابه ، ليحذروا ارتكاب شيء من الرذائل في شهر رمضان أو في غيره من الشهور ، فإن الآثام نار محرقة ، وسموم مهلكة ، والمسلم الحقيقي هو ذلك الذي يكون نظيف الأعضاء من الوقوع فيما نهي عنه الله ، وهو الذي يحمل روحا ملائكية ويكون ذا شفافية وصفاء ، وكمال نفسي وسمو خلقي .

أيها الإخوة والأخوات : إن الصيام يقيم المجتمع الإسلامي علي أسس متينة، وحين يقام علي هذه الأسس التي استهدفها وعلي الوجه الأمثل الذي ينشده ، وبالصورة الكاملة التي أمرنا بها الدين ، فإن آثار الصيام تنعكس علي ذلك المجتمع، وبهذا يكون الخلق الإسلامي الرفيع ، وتكون الفضائل الإنسانية العالية ، والقيم الفاضلة والسمو ، وتتحقق المعايير والمقاييس التي جاء بها الإسلام وطلب من أتباعه تحقيقها ، وبها يكون البناء متينا شامخا وتكون دعائم المجتمع قوية متينة ، وركائزه راسخة عميقة ، فعلينا نحن المسلمين أن يكون مجتمعنا كما يريد الدين ، وذلك ببناء النفوس بناء سليما ، وبأداء عبادة الله كما يجب أن يكون الأداء ، فإذا صمنا وجب علينا أن نؤديه بجميع أعضائنا ، وفي مقدمتها القلب بحيث يكون متفاعلا مع فريضة الصيام ، وإذا صلينا كان الأمر كذلك وهكذا تؤدي جميع العبادات بروحها النابضة ، والله نسأل أن يوفقنا إلى أن نكون كذلك ، اللهم آمين .



الحلقة الثالثة عشرة

لماذا تأخر الأمر بالصوم عن الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فلماذا كان الأمر الإلهي بالصوم متأخرا عن الصلاة ؟ ولم لم يشرع الصوم مع الصلاة أو بعدها بقليل ؟ إنه لابد من حكمة وراء تأخر الأمر بالصوم وتقديم الصلاة عليه ، ومن الضروري أن يكون هناك سبب من أجل ذلك ، ومن المعلوم أن الصوم لم يفرض قبل الهجرة، وإنما فرض بعدها وفي المدينة المنورة ، أما الصلاة فكانت فرضيتها في مكة وقبل الصوم بكثير ، وهيا بنا إلى معرفة السبب في تأخر الصوم إلى السنة الثانية من الهجرة النبوية ، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الصوم فيه مشقة والي أن المسلمين وهم في مكة قبل الهجرة كانوا يعيشون في جو إرهابي ، ويعانون من إيذاء الكفار المتواصل لهم ، وتضييق الخناق عليهم لكي يتركوا عقيدتهم الإيمانية ويرجعوا إلى عفن الكفر، ووصل الأمر بالكفار إلى انهم قتلوا من المسلمين البعض لتمسكهم بدين الإسلام ، وكان ما كان من حصار مميت ، وأعمال وحشية ، وإجرام مستمر .

وإذا فالجو الذي يعيش المسلمون فيه آنذاك ، كان جوا مكفهرا مليئا بالأحزان ، مفعما بالمعاناة والقسوة ، زاخرا بألوان الشر ، فكان- والحال هذه - ألا يفرض الصوم في ظل هذا الجو وتلك المعاناة ، وكان من الحكمة أن يؤخر

الأمر بالصوم إلى أن تزول تلك المحن وتنتهي هذه الشدة ، وبعد أن هاجر المسلمون إلى المدينة وفى السنة الثانية من الهجرة فرض الله الصوم على المسلمين، وجاء القرآن الكريم بفرضيته بعد أن بعدت أشباح الشر ونيران العداوة والبغضاء عن المسلمين ، وصاروا في مناخ آخر مناسب لفرض الصوم عليهم ، فرض عليهم الصوم بعد أن نزحوا إلى المدينة وطاب لهم المقام بها ، وتيسرت لهم فيها أسباب العيش ، والحياة الهادئة السعيدة في هذا البلد المضياف ، وفى رحاب جو المدينة المنورة العزيزة ، في تلك المنطقة التي رحب أهلها بدعوة الإسلام ورسول الإسلام وأتباع الإسلام ، تأخرت فريضة الصوم حتى لا يقول قائل : إن الصوم كان اضطراريا، وإنه كان من وحي البيئة ، وإن سوء الحالة الاقتصادية للمسلمين في مكة هي التي حملتهم على الصوم ، وإن الصوم شيء خاص بالفقراء والمساكين ، وإنه من شأن المضطهدين والمعذبين ، وإن الأغنياء أصحاب الثراء الواسع ليس الصوم من شأنهم ، لأنهم يعيشون في سعة من العيش ، ثم إن الصوم لم يفرض على المسلمين إلا بعد رسوخ العقيدة في قلوب المسلمين ، وأشرقت أنوارها وتألق سناها ، وبعد أن ألف المسلمون الصلاة وهاموا بها ، وأقاموها وأحسنوا أداءها ، وبعد أن تهيأت نفوسهم قبول الأوامر والأحكام الشرعية ، ولا شك أن في الصوم إرهاقا ومشقة ، وتعبا ومعاناة ، وإذا كان لابد من الإعداد والتهيئة ، وأن يسبق الصوم تأصيل العقيدة ورسوخها في النفوس .

ثم إن التدرج شيء ضروري ، وربنا - جل وعز- أعلم بنفوس عباده وهو رءوف بهم ، لم يكلفهم بالصوم وهو الشاق في أدائه ، إلا بعد أن يتهيأ الجو المناسب والمناخ الملائم للقيام بما يؤمرون به. وإذا اتضحت الرؤية أمامنا ، وعرفنا

الحكمة الإلهية في تأخير الصوم عن الصلاة فترة كبيرة من الزمن ، وربنا - جل شانه- كل أفعاله مبنية على الحكمة ، وهى تستهدف صالح الخلق وخيرهم..

جاء القران الكريم بفريضة الصوم في المدينة وفى العام الثاني من الهجرة المحمدية ، وقد توفى الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعد أن صام رمضان تسع مرات ، أي أنه - عليه السلام - منذ فريضة الصوم إلى أن انتقل إلى جوار ربه ، صام تسع رمضانات فيما بين الفرضية إلى الوفاة ، جاء القرآن الكريم بالأمر الإلهي للمؤمنين بفرضية الصيام ، وأتي بالقانون الرباني بالصوم وذلك في قول رب العزة - جل شأنه - :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات ﴾ (البقرة : ١٨٣).

وجاء القرآن الكريم أيضا بقول الله تعالي :

﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فيلصمه ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وجاء أيضا قول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - :

ـ صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما . (أبو داود وغيره) .

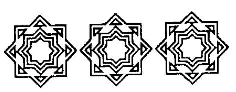
والصوم الذي أمرنا الله به ، وجاء القرآن الكريم بفرضيته ، لم يكن تشريعا جافا مجردا كالقوانين والمراسم العادية ، التي تكون بين الأفراد والحكومات، والتي لا تعتمد إلا علي الرابطة السياسية أو الاجتماعية ، ليس الصوم كذلك ، وإنما كانت

الآيات القرآنية التي جاءت به ، مخاطبة الإيمان ، والعقيدة ، والعقل ، والضمير ، والقلب ، والعاطفة في وقت واحد ، كان الأمر كذلك لتكون هناك إثارة لكل أولئك ، وتغذية كذلك ولتهيئة الجو لقبول ذلك التشريع والترحيب به، واستقباله بحماس إيماني ، ونشاط عظيم .. إنه التشريع الرباني الحكيم ، جاء به القرآن الكريم ، الذي هو تنزيل من حكيم حميد ، والمعجزة الكبرى للرسول العالمي رسول الإسلام محمد - صلي الله عليه وسلم - ثم إن ربنا - جل شأنه وتقدست أسماؤه - لم يوجب الصيام علي المسلمين دون غيرهم ، وإنما أوجبه علي الأمم السابقة ، وذلك عدل منه - سبحانه - ورحمة . والصوم ليس امتحانا فقط ، ولم يكن مشقة ليس من وراءها قصد ، وإنما هو يستهدف التربية الخلقية ، والرياضة الروحية، والإصلاح الاجتماعي ، والتوجيه النافع ، والصبر الجميل ، إن الصوم مدرسة كبري ، بل هو جامعه عظمي ، يتخرج منها الصائمون الذين صانوا أنفسهم وهذبوا سلوكهم ولم يلوثوا صومهم ، يتخرجون منه بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف ويحصلون علي الجوائز الربانية ممن أمر بالصيام وهو الله تعالي.

أيها الإخوة والأخوات : ما أعظم تشريعات ربنا ، إنه - جل شأنه - ، لا يكلفنا ما لا نطيق ، وهو القائل - عز وجل - :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (البقرة : ٢٨٦).

وهو لم يكلفنا بالعبادات جملة واحدة ، إنه - سبحانه - رءوف رحيم ، والله نسأل أن يوفقنا إلى أداء العبادة علي أتم وجه ، إنه سميع الدعاء وهو الموفق إلى ما فيه الخير .



الحلقة الرابعة عشرة

صلاة القيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فمن خصوصيات شهر رمضان المبارك ، ومن الأمور التي تميز بها وصارت لصيقة به ، صلاة القيام المعروفة لدي المسلمين بصلاة التراويح ، وهذه الصلاة لا تقام إلا في هذا الشهر ، ولا يؤديها المسلمون في شهر سواه ، وتلك خصوصية انفرد بها شهر الصوم المبارك ، وصلاة القيام هذه التي تميز بها هذا الشهر ، شرعت في المدينة المنورة وفي السنة الثانية من الهجرة المحمدية ، وكانت مشروعيتها بعد أن فرض الله الصوم علي المسلمين ، وتسمي هذه الصلاة بصلاة القيام ، لأن الأولى والأفضل أن تصلي من قيام عند قدرة الإنسان علي ذلك، فإذا أداها وهو جالس مع قدرته علي القيام ، فإنه يكون مخالفا للأفضل ، وغير محصل للأولى . تلك هي سبب تسمية هذه الصلاة بصلاة القيام ، وهذه هي العلة في تلك التسمية وتسمي هذه الصلاة أيضا بصلاة التراويح ، وعلة تسميتها بهذا الاسم ، أن المصلين لما كانوا يتروحون فيها ، بمعني أنهم كانوا يجلسون للاستراحة بعد كل أربع ركعات منها ، وهنا يرد سؤال وهو : هل الأفضل أن تؤدي هذه الصلاة في المسجد أم في البيت ؟ ونحن إذا نظرنا إلى أنها صلاة شرعت فيها الجماعة فأداؤها في المسجد أفضل ، والسادة المالكية قالوا في هذا

الشأن ، يستحب أن تصلي في البيت ولو كانت في جماعة ، سواء أكانت هذه الجماعة أهل منزله أم كانت غيرهم ، ووجهة النظر عندهم فيما قرروه ، أنها إذا صليت في البيت كانت أبعد عن الرياء ، ولا تكون فيها مظنة السمعة والشهرة بين الناس ، ولكنهم مع هذا قالوا : إن هذه الأفضلية مقيدة بأمور : أما الأمر الأول : فهو عدم تكاسل الإنسان عن أدائها في بيته ، فإذا كان سيتكاسل فالمسجد أفضل ، وأما الآمر الثاني : فهو ألا يكون بأحد الحرمين الشريفين بمكة أو المدينة ، وهو ليس من أهل هذين البلدين، فإذا كان المسلم هناك في شهر رمضان فالأفضل أن يؤدي صلاة القيام في أحد هذين المسجدين الشريفين مسجد الحرم المكي أو مسجد الحرم المدني ، لأن الصلاة فيهما تعادل صلوات كثيرة ، والأجر المترتب علي ذلك كبير ، وأما الأمر الثالث : ألا يلزم من صلاتها في المنازل تعطيل صلاتها في المساجد ، فإذا كان الأمر كذلك بأن يترتب علي أدائها في البيوت خلو المساجد وتعطيل هذه الصلاة ، فإنه يلزم أن تكون حينئذ في المساجد، وعلي كل حال ، فإن تعمير المساجد وتواجد الناس فيها لأداء الصلاة وغيرها من الصلوات لأمر عظيم ومظهر كريم واجتماع طيب ، يدل علي الاهتمام بهذه الصلاة التي قال عنها وفيها رسول الله صلي الله عليه وسلم :

- من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. (أحمد).

فصلاة القيام ذات منزلة عالية ، وثوابها عظيم وأجرها جزيل ، وحكم هذه الصلاة الندب الأكيد ، وقد كان الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يخرج من بيته ليصلي صلاة التراويح إماما بالمسلمين في المسجد ، ولكنه لم يداوم علي صلاته معهم ، خشية أن تفرض عليهم، وهذا إن دل علي شيء فإنما يدل علي شدة رأفة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ لقد جاءكم رسول من

أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (التوبة : ١٢٨).

وهذه الصلاة إما أن تكون ثماني ركعات مضافا إليها ركعتان للشفع وركعة للوتر ، وإما أن تكون ثلاث عشرة ركعة بالشفع والوتر ، وكان هناك اهتمام كبير من جانب المسلمين آنذاك بأداء هذه الصلاة ، وكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل ، وكانت هذه الصلاة تؤدي بطريقة فيها تؤدة وتطويل للقراءة فيها، وتختلف كل الاختلاف عن صلاتنا في زماننا الحاضر ، عصر السرعة المذهلة .. إن أداء المسلمين الأول لهذه الصلاة وغيرها من صلوات ، لم تكن حركات بهلوانية ، ولا ذات أداء مخل بها ، وإنما كانوا يؤدونها كما يجب أن يكون الأداء طمأنينة وكمالا ، وإخلاصا وصفاء ، وخشية وخشوعا وحضور قلب ، وقربا من الله ، ومثل هذه الصلاة التي تؤدي بمثل هذه الكيفية الكاملة ، هي صلاة ذات روح ، فيها حياة ووراءها اجر ، ولها نور ويرجي منها الخير ، وقد صلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه التراويح عشرين ركعة عدا الشفع والوتر ولا غبار علي هذا التصرف ، والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قال :

- عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ.

وفي عهد عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - ، كانت صلاة التراويح ستا وثلاثين ركعة ولعل هذا التصرف منه كان مبعثه مساواة أهل مكة في الأجر والثواب ، حيث إنهم كانوا يطوفون بالكعبة مرة بعد كل أربع ركعات من الصلاة ، فرأي الخليفة أن يرتفع هذا الرقم إلى ست وثلاثين ركعة ، بحيث يكون مقابل كل طواف أربع ركعات ، وهكذا كان هناك حرص شديد علي التقرب إلى الله بالعبادة ، وكان هناك صبر عظيم وجلد كبير علي أداء الطاعة لله رب العالمين ، وكيفية صلاة التراويح أن تصلي ركعتين ركعتين ، بمعني أن

يصلي المسلم ركعتين ويتشهد ثم بعد ذلك يسلم وهكذا يسير علي هذه الطريقة وبتلك الكيفية حتى ينتهي من الصلاة .

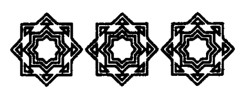
أيها الإخوة والأخوات : إن شهر رمضان شهر المكاسب ، وهو ملئ بالنفحات والثواب العظيم من الله ، وصلاة التراويح التي انفرد بها هذا الشهر العظيم هي سنة من سنن رسول الله - صلي الله عليه سلم - وفعلنا لها إنما هو اقتداء بالرسول العظيم ، وهو خير قدوة ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

وإنه لمن الواجب علينا ألا نهمل صلاة التراويح ، وأن نؤدي كل عمل بإتقان ودقة ، سواء كان هذا العمل فرضا أو سنة ، وبذلك الأداء المقرون بصفاء النية ، والمنزه عن الشوائب والأدناس ، وبالإخلاص لله فيما نؤدي ، يكون الفوز والثواب الجزيل من الله ، وتكون الحياة الأخروية الهانئة السعيدة ، المحفوفة بالرضا الإلهي ، مصداق ذلك قول رب العزة - جل شأنه - :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧).

إنه لجزاء عظيم من رب عظيم ، وإنه لكرم كبير من رب كريم ، وإنا لنسأل ربنا - جل شأنه - أن يجعلنا من الصائمين القانتين ، الذين يؤدون الفرائض والسنن دون تقصير ، كما نسأله - سبحانه - أن يتقبل أعمالنا ، ويكرمنا بكرمه العظيم ، اللهم آمين .



الحلقة الخامسة عشرة

بعض أحكام الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فتلك بعض الأحكام الخاصة بالصوم ، وهذه أمور تتعلق بتلك الفريضة ، ومنها أن الصوم يجب بأحد أمور ثلاثة : أولها : رؤية عدلين هلال شهر رمضان المبارك ، والعدل هو المسلم المكلف الذكر الحر ، الخالي من ارتكاب كبيرة أو إصرار علي صغيرة أو فعل ما يخل بالمروءة ، وثانيها : رؤية جماعة مستفيضة يستحيل تواطؤهم علي الكذب ، وكل واحد من هذه الجماعة يقرر بأنه رأي الهلال بنفسه لا سماعا من غيره ، وثالث تلك الأمور : إكمال شهر شعبان ثلاثين يوما . وفي هذا الشأن يقول الرسول - صلي الله عليه وسلم - :

- "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما" . (البخاري ومسلم).

تلك هي الأمور التي يجب بها صوم شهر رمضان ، فإذا وجد أحدهما وجب الصوم ، وللصوم ركنان أساسيان لابد منهما ، أولهما النية قبل الفجر أو معه لقول الرسول - صلي الله عليه وسلم - : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوي" . (البخاري ومسلم).

وزمن النية من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق ، لقوله - عليه الصلاة والسلام : من لم يبيت النية قبل الفجر فلا صيام له. (أحمد).

وصحت النية مع الفجر علي المشهور ، لقول رب العزة - جل شأنه :

﴿وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ (البقرة : ١٨٧)

ومن المعلوم أن النية محلها القلب ، وإذا تلفظ الإنسان بها فلا مانع من ذلك ، وقد قيل بأنه يسن ذلك ليساعد اللسان القلب ، وهذه النية تكون كل ليلة عن كل يوم من الصيام ، ويكفي أن ينوي الإنسان في بداية شهر الصيام وهذه النية تشمل كل أيامه . وديننا دين يسر لا عسر ، والإنسان منا قد ينسي تبييت النية ، وتخفيفا عليه تنصب النية في بداية الشهر علي جميعه ، والثاني من الأركان : الكف عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، لقول الله تعالي :

﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾ (البقرة : ١٨٧).

ووجوب الإمساك إلى الليل يقتضي وجوبه إلى أول جزء منه ، وقد مر بنا منذ قليل بأن النية في بداية شهر رمضان تنسحب علي كل أيامه ، ولكن مع هذا يستحب تجديد النية في كل ليلة ، ثم إذا انقطع تتابع الصيام بسفر أو مرض أو حيض أو نحو ذلك وجب تجديد النية ، والنية قبل ثبوت شهر رمضان باطلة ، حتي ولو تبين أن ذلك اليوم من رمضان ، لكن يجب الإمساك لحرمة الشهر وتجب الإعادة .

وللصوم شروط وجوب وهي :

أولا : البلوغ ، فلا يجب الصوم علي صبي لم يبلغ ولا يؤمر به لما في الصوم من مشقة .

ثانيا : القدرة علي الصوم ، فلا يجب علي مريض ، ويقضيه وجوبا عند الاستطاعة.

ثالثا : الحضور ، فلا يجب علي مسافر سفر قصر ، ويقضيه وجوبا كذلك.

وللصوم شروط صحة ، وهي :

أولا : الإسلام ، فلا يصح الصوم من غير المسلم .

ثانيا : الزمن القابل للصوم فيما ليس له زمن معين ، فلا يصح في يوم العيد وهناك شروط وجوب وصحة معا ، وهي :-

أولا : العقل ، فلا يجب علي مجنون ولا مغمي عليه ولا يصح منهما ، لكن يجب عليهما بعد الإفاقة ولو بعد سنين قضاء ما فاتهما في حالة غيبوبة العقل .

ثانيا : الخلو من الحيض والنفاس ، فلا يجب الصوم علي حائض ولا نفساء ولا يصح منهما ، وعليهما بعد زوال العذر أن تقضيا ما فاتهما من أيام الصوم ، أما الصلاة فلا تقضي بالنسبة لهما ، وهذا فضل من الله ورحمة بهما .

ثالثا : دخول الوقت فيما له وقت معين كشهر رمضان ، فلا يجب صوم رمضان قبل ثبوت الشهر ولا يصح .

وعلي ضوء ذلك ، لابد من مراعاة تلك الشروط بأنواعها عند الصيام ، وهناك أمور يستحب تحصيلها في الصيام ، ومنها تقديم الفطر الخفيف علي الصلاة، بحيث لا يؤخرها عن وقت الفضيلة ، كما يستحب أن يكون الفطر علي رطب فتمر فحلو ، وأن يكون المأكول من ذلك وترا ، فإن لم يجد الصائم شيئا من ذلك فعلي جرعة ماء ، ويستحب الدعاء عند الإفطار ، والأفضل المأثور منه ، وهذا هو الدعاء المأثور " اللهم لك صمت ، وعلي رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالي ، يا عظيم يا عظيم ، أنت إلهي ، لا إله غيرك اغفر لي الذنب العظيم ، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا العظيم.

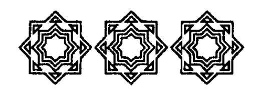
وإذا لم يستطع الصائم أن يقول هذا الدعاء ، فليقل أي شئ آخر ، كأن يقول : " اللهم اقبل صومي " .

ومن مستحبات الصيام أيضا السحور وتأخيره ، إذ أن السحور يقوي الصائم حين صومه ، وفيه بركة كما قرر ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث قال :

- "تسحروا فإن في السحور بركة" . (أحمد والنسائي) .

أيها الإخوة والأخوات : تلك بعض الأمور التي تتعلق بالصوم وهذه بعض الأحكام التي نحن جميعا بحاجة إلى معرفتها ، إذ أن هناك بعض الناس ليس لديهم معرفة بتلك الأحكام التي نحن جميعا بحاجة إلى معرفتها ، وإنا لنسأل رب العزة جل شأنه أن يعلمنا ما نجهل ويذكرنا ما ننسي ، ويوفقنا إلى

أداء عبادته في ظل المعرفة والإخلاص والأمانة ، وأن يحفظ قلوبنا وألسنتنا وسائر جوارحنا عما يحبط الصوم ويضيع أجره وثوابه ، كما نسأله - سبحانه - أن يجعلنا في جميع مراحل حياتنا موفقين ، مؤدين واجباتنا بصدق ، متحلين بالفضائل ، متخلين عن الرذائل ، وأن تكون حياتنا عامرة بحسن المسيرة وحسن القصد ، وهو - سبحانه - الموفق إلى كل ذلك .



الحلقة السادسة عشرة

بعض أحكام الصيام (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فكلما جاء شهر رمضان المبارك ، كثرت الأسئلة الدورية المعتادة، عن حكم الشرع بالنسبة للحقن المسماة بالإبر ، وعن أمور أخرى سوي ذلك ، وفي هذه الحلقة التي معنا سأذكر حكم الشرع بالنسبة لتلك الأسئلة الرمضانية، أما عن استعمال المصل - أي الإبر - في نهار شهر رمضان ، فإن هذا لا يفسد الصوم ، ولا يبطل تلك العبادة ، حيث إن ما فيها من دواء لا يصل إلى الجوف من منفذ مفتوح ، وإنما عن طريق المسام التي في الجسم ، ولا يبطل الصوم إلا إذا استعمل الصائم الحقنة الشرجية لإصلاح بطنه ، وعلي الصائم إذا استعملها القضاء إذا كان الاستعمال لعذر ، أما إذا لم يكن هناك عذر فعليه في هذه الحالة القضاء والكفارة ، والكفارة شرعها الله للذين يتعدون حدوده بالإفطار عمدا في شهر رمضان ، لجبر ما وقعوا فيه من إثم ، أو هي عقوبة لهم علي ما حدث منهم من انتهاك لحرمة هذا الشهر العظيم ، وتتمثل الكفارة في واحد من ثلاثة أشياء : -

الأول : إطعام ستين مسكينا ، والمراد بالمسكين ما يشمل الفقير والمحتاج ، إطعام كل واحد من هذا العدد وهو الستون ، ويتمثل ذلك في إعطاء كل واحد منهم مدا من الطعام ، والمد هو ملء الكفين المتوسطتين لا مبسوطتين ولا مقبوضتين ، وهذا هو مد النبي – صلي الله عليه وسلم – ، ويوجد في المملكة السعودية مكيال يسمي المد ، وبعض الحجاج يأتون به إلى بلادهم وهم قادمون بعد أداء الفريضة ، وبه يكيل الإنسان ستين مرة لمن وجبت لهم الكفارة وهم ستون فردا .

الثاني : صيام شهرين متتابعين ، يحددهما بالهلال إذا ابتدأهما من أول الشهر ، فإن بدأهما أثناءه صام الشهر الثاني بالهلال كاملا كان أو ناقصا ، وأتم الشهر الأول من الشهر الثالث ثلاثين يوما ، فإن أفطر في يوم عمدا بطل جميع ما صامه ، وعليه أن يستأنف الصيام من جديد .

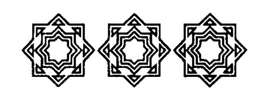
الثالث : عتق رقبة مؤمنة سالمة من العيوب ، وهذا النوع كما نعرف جميعا ليس موجودا في عصرنا الحاضر ، وإذا فأما من وجبت عليه الكفارة في هذا الزمن الذي نعيش فيه ، أمران اثنان : وهما الإطعام ، أو الصيام ، وهناك قول بعدم الفطر بالحقنة الشرجية وقد جاء ذلك في فقه السنة ص ٤٦٣.

ومن الأسئلة التي تطرح في هذا الشهر المبارك القيء أثناء الصيام ، فإذا كان القيء قد غلب الصائم ، بحيث خرج الأكل من بطنه إلى فمه بنفسه ، وعندئذ طرحه الصائم علي الأرض ولم يبتلع منه شيئا ، فإن صيامه صحيح ولا قضاء عليه ، وفي هذه الحالة ينظف فمه بالماء ولا شيء عليه ، أما إذا وصل شيء إلى بطنه منه بعد أن وصل إلى فمه ، وكان ذلك بلا تعمد منه فعليه في هذه

الحالة قضاء ذلك اليوم ، فإذا ابتلعه عمدا فعليه القضاء والكفارة ، وقد سبق ذكر الكفارة قبل ذلك ، وهذا الذي ذكر من تلك الأحكام السابقة ، فيما إذا كان القيء خرج من البطن إلى الفم دون تعمد إخراجه من الصائم ، أما إذا كان متعمدا إخراجه بأن وضع إصبعه في فمه فخرج القيء ففي هذه الحالة إذا لم يرجع منه شيء ، إلى بطنه فعليه القضاء فقط ، فإن رجع منه شيء سواء كان ذلك عمدا أو قهرا فعليه القضاء والكفارة معا ، وهناك شئ آخر يلزم بيان حكمه وهو حكم الدين فيمن دخل عليه شهر رمضان الذي مر في العام السابق ، ولم يكن هذا الشخص قد قضي ما عليه وللإجابة عن ذلك يقول الدين ، إذا كان هذا الشخص لم يقض ما عليه بسبب عذر متواصل كالمرض مثلا ، فلا شيء عليه سوي القضاء عند استطاعته وزوال عذره، أما إذا كان التأخير لغير عذر فعليه القضاء والإطعام عن كل يوم مدا من الطعام ، ولننتقل إلى شيء آخر يكثر السؤال عنه في شهر رمضان ، وهو الاحتلام في هذا الشهر نهارا حين الصوم والنوم ، والجواب عن ذلك : هذا الاحتلام أثناء النوم وحين الصيام وفي نهار رمضان لا يضر الصيام بشيء ، غير أن الذي احتلم عليه أن يغتسل ليكون علي طهارة حين صيامه ، ولكي يتمكن من أداء الصلاة .. وننتقل إلى سؤال أخر يتطلب الإجابة ، وهو ما الحكم فيمن أصابته جنابة في إحدى ليالي شهر رمضان ، ولم يتمكن من الغسل ، وظل علي جنابته حتى طلع النهار ؟ والجواب عن ذلك هو أن صيامه صحيح وهذه الحالة لا تضر الصيام ، وعلي من كان كذلك أن يرفع جنابته ويتطهر ولا شيء سوي ذلك ، وإذا تعمد الإنسان إخراج المني بأي صفة كانت في نهار رمضان ، فإنه يكون منتهكا حرمة هذا الشهر المبارك ، والشرع يلزم هذا الشخص بالقضاء والكفارة

في مثل هذه الحالة ، ويأتي بعد ذلك حكم الشرع بالنسبة للمرأة الحامل التي يضرها الصوم ، وكذلك بالنسبة للمرأة المرضع ، وبيان ذلك أن الحامل إذا خافت أن يصيبها بالصوم مرض يضر بها أو أن يصيب ولدها ضرر بصومها ، فيجوز لها في هذا الحالة أن تفطر وعليها القضاء فقط ، أما المرضع لولدها أو لولد غيرها فإنها إذا خافت أن يصيبها أو يصيب الولد بالصوم مرض جاز لها الفطر وعليها القضاء والفدية ، ولا يباح لها الفطر إلا إذا تعين الرضاع عليها ، بأن لم تجد مرضعة سواها ، أو وجدت ولكن لم يقبل الولد ثدي غيرها ، فإذا وجدت مرضعة وقبلها الولد فلا يجوز لها الفطر في هذه الحالة .

أيها الإخوة والأخوات : تلك أحكام نص عليها الشرع ، وهي كما نري فيها روح الحزم واليسر ، وعلي الصائمين أن يراعوا تلك الأحكام في صومهم ، وان يعملوا بما جاء به هذا الدين العظيم ، ففي التمسك بالدين والعمل بأحكامه كل خير ، وفي تنفيذ تعليماته واتباع ما جاء به السعادة ، والله نسأل أن يوفقنا إلى العمل الجاد بما جاء به الدين ، والالتزام بما جاء فيه من توجيهات وإرشادات ، وبهذا نسعد في دنيانا وأخرانا ، والله الموفق .



الحلقة السابعة عشرة

شهر رمضان شهر الجهاد (غزوة بدر)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون :أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فشهر رمضان شهر جهاد ، جهاد ضد النفس ، وجهاد ضد أعداء الإسلام ، أما إنه جهاد ضد النفس، فلأن الصائم يكبح جماح نفسه بصومه ، ويقيدها ويتحكم فيها ، ويوجهها إلى ميدان الخير ويجعلها طوع إرادته ووفق ما يريد ، ويلجمها ويبعدها عما تريد من شهوات ، وأما إنه جهاد ضد الأعداء الذين يقفون في طريق الإسلام ، ويعملون علي محاصرته ومحاربته بشتي الوسائل ومختلف الأساليب ، من أجل القضاء عليه وعلي أتباعه ، فلأن هذا الشهر المبارك قد شهد معارك إسلامية ، بها انتصر الحق علي الباطل ، وبسببها قويت شوكة الإسلام والمسلمين .

ومن أبرز ما حدث من صدام مسلح في هذا الشهر بين المسلمين والكفار، تلك الغزوة الكبرى التي تحدث عنها القران الكريم باستفاضة وإسهاب ،وهى غزوة بدر الكبرى ، وقبل الحديث عن تلك الغزوة المباركة وسببها ، يجدر بي أن أتحدث عن شيء آخر سبقها ولحقها ، ويتمثل ذلك في السرايا الإسلامية ، وهذه السرايا بدأت في شهر رمضان الأول ، الذي تلا الهجرة إلى المدينة ، إذ أنه بعد أن

هاجر المسلمون ، شهد أول رمضان بعدها ميلاد أول سرية إسلامية بقيادة حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - والسرية هي تلك التي لم يخرج فيها الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، أو خرج فيها ولم يحارب ، أما التي خرج فيها وحارب فتسمى غزوة . وقد تلا هذه السرية التي كانت بقيادة حمزة سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وشهدت رمضانات أخرى سرايا أخرى للمسلمين ، وقد رفعت هذه السرايا الروح المعنوية لدي المسلمين وأشعرتهم بقوتهم ، وربتهم على ملاقاة الأعداء بشجاعة ومضاء عزيمة ، وزودتهم بالمعلومات عن الأعداء ، وقد سبق غزوة بدر سرية استطلاع بقيادة عبد الله بن جحش في شهر من الأشهر الحرم وهو شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة ، وقد اضطرت هذه السرية لمقاتلة قافلة كان عليها عمرو بن الحضرمي ، وقد جاء الأمر الإلهي بالقتال ، حيث قال رب العزة - جل شأنه - :

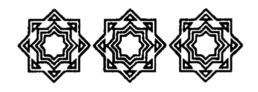
﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

وعندئذ سرت في قريش دعوة محمومة لقتال الرسول وأنصاره ، وأخذت قريش تعد العدة ، وتجمع للعير المسافرة إلى الشام أموالا كثيرة من شتى بيوت أهل مكة ، وتجعل عليها أعدادا كبيرة من الرجال ذوى الحيلة والقوة والبأس، وتزودهم بالمعرفة والحذر والسلاح ، وخرجت من مكة قافلة تجارية كبيرة تتكون من ألف بعير ، واشترك في حراستها أكثر من ثلاثين رجلا من الأشداء

وبقيادة أبى سفيان ، وهنا رأى المسلمون الفرصة سانحة ليستردوا أموالهم التي تركوها عنوة في مكة ، وخرج الرسول - عليه الصلاة والسلام - في سرية لاعتراض القافلة وهى في طريقها إلى الشام ، ولكن شاءت الأقدار ألا تلحق السرية القافلة ، وترقب المسلمون القافلة حين عودتها ، وأعدوا جيشا من المهاجرين والأنصار من أجل هذا الغرض، وعلم أبو سفيان بما انتواه المسلمون ، فسلك طريقا آخر لينجو بالقافلة ، وفى الوقت نفسه أرسل رجلا إلى قريش يطلب منها الغوث ، ويثير فيهم الحماس ، ويدعوهم إلى نجدة القافلة وتأديب المسلمين ، وسمع أبو جهل عدو الإسلام صيحات هذا الرجل الذي أرسله أبو سفيان ، فصاح بدوره بالناس عند الكعبة ، يحمسهم لإنقاذ القافلة والأموال ، واجتمعت قريش وأعدت جيشا قويا لقتال المسلمين والقضاء عليهم وعلى دعوة الإسلام ، وهنا كانت القافلة قد نجت ولم يتعرض لها أحد من المسلمين ، وذلك لان أبا سفيان سلك بها طريقا آخر غير الطريق المألوف ، وما دام الأمر كذلك ، فلا داعي إذا لخروج جيش الكفر لشن الحرب على المسلمين ، ولكن الشيطان قد زين لقريش دخول المعركة وسولت لهم نفوسهم أن يذهبوا بجيش كبير لقتال المسلمين ، وخرجت حملة الكفر يتقدمها جماعة من الجوارى يضربن الدفوف ، وكان أبو جهل أقسم ألا يرجع من بدر إلا بعد أن يقيم فيها ثلاثة أيام ينحر ويشرب وتعزف الجواري ويسمع به كل العرب، وخرج هذا الجيش الكبير والكبر يملؤه ، والغرور يقوده ، وقد صمم الكفار على محاربة المسلمين ، وبيتوا النية على إنزال الهزيمة بهم ، وذهب الجيش نحو بدر ،

والرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يكن آنذاك مستعدا لخوض الحرب ، وكان كل ما يدور بذهنه وأذهان المسلمين معه ، أن يتعقبوا القافلة ، ويستردوا ما أخذ منهم بالقوة ، وإذا فالحرب كانت غير واردة لدى المسلمين ، ولكن ماذا يفعل الرسول بعد أن أفلتت القافلة ، وبعد أن حشدت قريش هذا الجيش الكبير لشن حرب عنيفة ضد الإسلام والمسلمين ؟ إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أمام هذا الموقف ، لابد له من أن يتخذ القرار المناسب الذي به يواجه ما برز من مفاجآت ، ومن المحتم عليه أن يعالج الموقف بما يكفل المصلحة للإسلام والمسلمين ، ولذا نجد الرسول حينذاك يتخذ من المواقف ما يضمن له سلامة جبهته وما يشحذ العزائم لمواجهة الخطر الذي يهدد الإسلام وأتباعه ، نجد - عليه السلام - يجمع الأنصار والمهاجرين ، ويعقد لهم مؤتمرا عاجلا للوقوف على آرائهم بعد طرح المشكلة عليهم وللخروج برأي موحد للجانبين، يمثل القوة والحسم ، والوحدة والعزم، إنه لموقف عظيم من جانب الرسول، فهو لم يكن مستبدا برأيه ، ولم يكن منفردا بقرار، وإنما كان الأمر شورى بينه وبين المسلمين ، حتى إذا كان هناك قرار بدخول المعركة كان قرارا صادرا عن الجماعة وله أرضية صلبة ومن شأن ذلك أن تكون له قوته وفاعليته وإيجابيته، حيث إن الأمر ليس سهلا ولا هزلا ، ولان المعركة ستحدد المسار ، وسيترتب عليها مستقبل الإسلام والمسلمين، وبناء على دعوة الرسول للمهاجرين والأنصار لمواجهة الموقف ، انتظم العقد وعقد المؤتمر ، وطرح الرسول - عليه السلام - الموقف وأبعاده عليهم ، وطلب منهم الإدلاء بالرأي ، وطرح أفكارهم على مائدة

البحث والمناقشة ، فهل كان المسلمون على مستوى المسئولية ؟ وهل قدموا الرأي السليم الذي يناسب الموقف ؟ وهل كانوا جميعا على قلب رجل واحد ؟ أم كانوا يحملون قلوبا شتى وأفكارا ضحلة ؟ إن التاريخ قد سجل لهم الفكر المستنير ، والرأي السليم ، والجماعة الواحدة ، والموقف الجاد . وفى الحلقة اللاحقة بمشيئة الله – تعالى – ، يتواصل الحديث في رحاب غزوة بدر ، للتعرف على ما حدث فيها من عوامل النصر للمؤمنين ، وإلحاق الهزيمة الكبرى بالكافرين ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .



الحلقة الثامنة عشرة

مؤتمر غزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : ففي الحلقة السابقة ، كان الحديث عن غزوة بدر الكبرى ، تلك التي يستظل المسلمون بظلها الوارف ، ويعيشون في جوها السار ، جو النصر المؤزر ، والفوز والنجاح ، وتلك التي كانت في السابع عشر من شهر رمضان المبارك ، وقد وصلنا في الحديث عنها إلى ما حدث من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، من عقد مؤتمر ضم أصحابه من المهاجرين والأنصار ، في جو ديمقراطي حر ، وجلسة ثرية بالمناقشات الهادفة والشورى الصائبة . فماذا حدث في هذا المؤتمر ؟ مؤتمر الحرية والرأي السليم ، والكلمة الهادئة العاقلة ، النابعة من القلب العامر بالإيمان ، والثقة الكبيرة في نصر الله ، إنه مؤتمر الحق والإيمان، الذي يستهدف المصلحة العامة ، والحرص على مستقبل الإسلام ، وإزالة العوائق والعقبات من طريقه ، ولهذا فإن الاتفاق في وجهات النظر كان رائعا ، وقد تجلت الطاعة لله وللرسول في أسمى معانيها في هذا المؤتمر ، والاستجابة كانت في اكمل صورة من جانب المهاجرين والأنصار ، على خوض المعركة مهما كانت النتائج ، ومهما كانت هناك من مخاطر ، وقد تبلور الرأي من قبل الجميع على أن يكونوا يدا واحدة ضد أعداء الإسلام ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات ، وها هو ذا ممثل المهاجرين المقداد بن عمرو يقول للرسول - عليه الصلاة والسلام - :

- يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا إذنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. انه لموقف رائع يدل على عمق الإيمان ، ويبرهن على شدة الحب للرسول ، والطاعة والاستجابة له ، دون ضغط أو إكراه من جانبه، وانما هى الحرية المطلقة والجو الديمقراطي العظيم . هذا هو موقف المهاجرين قد مثله المقداد بن عمرو ، ويتبعه موقف الأنصار الذي مثله سعد بن معاذ ، فماذا قال هذا الصحابي تعبيرا عن رأى الأنصار ؟ إنه قال للرسول - عليه السلام - : " يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله " وهذا الموقف أيضا يمثل جوانب الصدق والطاعة وحسن الرأي ، ويمثل الاستعداد التام لمواجهة أعداء الإسلام ، وإن هؤلاء الذين آزروا دعوة التوحيد ، يمتازون بالصبر في الحروب ، والصدق عند اللقاء ، والشجاعة عند النزال ، والصمود عند الشدائد ، والبلاء الحسن في ميدان القتال ، وإذا فالرؤية واضحة ، والجبهة موحدة ، والصحابة متفقون ، والقلوب ملتفة حول الرسول ، والارتفاع إلى مستوى المسئولية موفور، والروح المعنوية عالية لدى كل من المهاجرين والأنصار ، وأمام هذا الموقف

الموحد ، والتصميم الإيماني على منازلة الأعداء ، حمد الرسول ربه من أعماق قلبه ، وتلألأ وجهه بالبشر والسرور، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة حلوة عذبة ، وعندئذ قال - عليه السلام - لأصحابه :

- سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم " . وخرج الرسول مع أصحابه إلى أرض المعركة ، ولديه رصيد كبير من الاعتماد على ربه والثقة في نصره ، واخذ -عليه السلام- يثبت المسلمين ويبشرهم بما ينتظرهم من نتائج سارة "، ويقول لهم:

- والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة. وهكذا كانت البشرى أمام صحابة رسول الله قبل الدخول في الميدان الحربي ، وهى بشرى مزدوجة ، بشرى عاجلة على أرض المعركة وهى النصر على العدو " والله لكانى أنظر إلى مصارع القوم " وأخرى لمن نال الشهادة ، ووسامها الرباني :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة﴾ (التوبة : ١١١)

والذي نفس محمد بيده :

- لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة.

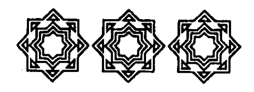
إن المؤمنين في أتم فرحة وأكمل سرور ، لأن الرسول ساق إليهم البشائر، ولهذا تسابقوا إلى ميدان القتال ودخلوا الحرب قريبا من بدر ، وقبلها كانت هناك مجموعة استطلاع ، اشترك فيها على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ،

وسعد بن أبى وقاص ، وكانت حصيلة هذه المجموعة الاستطلاعية ، معرفة مكان قريش معرفة تامة ، ومعرفة عدد المقاتلين من قريش ، وما إلى ذلك من معلومات أخرى نافعة ، وبناء على تلك المعلومات التي جمعت ، بدأ الحديث في خطة الحرب ، وعندئذ نظر الحباب بن المنذر إلى المكان الذي يعسكر فيه المسلمون ، وهداه تفكيره إلى أن يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

- يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال له رسول الله :

- بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال الحباب : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى أدنى ماء من القوم ، وبين له وجهة نظره في اختيار ذلك المنزل ، وأن فيه مصلحة للمسلمين وضررا بالكافرين ، فاستحسن الرسول رأيه وقال له : لقد أشرت بالرأي ، وانتقلت قوات المسلمين إلى حيث أشار الحباب بن المنذر ، وهكذا نلتقي بأحد نماذج القيادة الرشيدة بل بأفضلها ، فإن القائد وهو رسول الله ، لم ينفرد بالرأي ، ولم ينهض بالمسئولية وحده ، وإنما استشار أصحابه، وأخذ رأيهم ، حتى إذا جاءه أحدهم بالفكرة الطيبة والرأي والصواب ، وافق عليه ووضعه في الخطة ، وقبل أن يبدأ القتال ، كان المسلمون قد تم حشدهم في المكان الملائم والوقت المناسب ، كما أنهم نظموا قوتهم ومياههم ، وردموا البئر التي قدروا أن يستخدمها الكفار ، وبدأت المعركة ، وكان لقريش التفوق على المسلمين في العدد والعدة ، ولكن كانت لدى المسلمين قوة أخرى ، فهم وإن كانوا أقل في الكم ، لكنهم أكثر وأعظم فى الكيف ، حيث

كانت لديهم القوة المعنوية والقوة المعنوية سلاح رهيب ، وذخيرة فتاكة بالأعداء، والمسلم كان يعتقد أنه لابد حاصل على إحدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة ، ودارت المعركة ، ولكن بدأت بالمبارزة الفردية على نحو ما كان مألوفا في اللقاء، فتقدم عبيدة وحمزة وعلى ، فانتصر كل منهم على غريمه وقتله ، وهكذا كانت البداية مبشرة بالخير، وارتفعت الروح المعنوية لدى المسلمين ، ووجدوا أنفسهم تواقين إلى ملاقاة الأعداء ، يدفعهم إلى ذلك الإيمان الحي في قلوبهم ، ويشدهم إلى هذه الملاقاة شعور خفي داخلي ، وفى الحلقة القادمة بمشيئة الله ، سنكمل الحديث عن أول موقعة حربية بين الإسلام والكفر ، وسنستخلص منها الدروس المستفادة ، والعبر النافعة ، والله الموفق .



الحلقة التاسعة عشرة

نتائج غزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد وصلنا في الحلقة الماضية في الحديث عن غزوة بدر إلى انتصار المسلمين في المبارزة الفردية ، وتمكنهم من قتل الكفار الثلاثة الذين بارزوهم ، وقد كان هذا الانتصار بداية الخير وباكورة النجاح في تلك الموقعة ، ولذا نجد الرسول - عليه السلام - ينتبه فجأة ويقول لأبى بكر - رضى الله عنه -: - أبشر أبا بكر أتاك النصر .

وبعدئذ دارت الحرب بين الفريقين ، وكان المسلمون يندفعون ويستبسلون، ويدخلون بروح معنوية عالية ، بل إنهم كانوا يتركون القوت وهم في أشد الحاجة إليه حرصا على الظفر بإحدى الحسنيين ، ولهذا نجد عمير بن الحمام يقذف تمرات من يده ويأخذ سيفه ويقاتل حتى استشهد ، فكان أول شهيد في هذه المعركة من المسلمين ، وقد أبلى المسلمون البلاء الحسن في تلك الموقعة ، مع أن العدد قليل والعدة ضئيلة ، ولم تكن كثرة الكفار ووفرة العدة لديهم مؤثرة في قوة المسلمين ، ولا مخيفة لهم أو موهنة لعزائمهم ، وقد أكرمهم الله تعالى بمدد من السماء ، ونصرهم النصر المؤزر ، وكانت هذه الموقعة اختبارا قاسيا للكفار ، وامتحانا عسيرا لأولئك الذين وقفوا من دعوة الإسلام موقف الصلف والجفاء والتعويق ، وقد تمثلت نتيجة هذا الاختبار وتلك المواجهة فيما يلي :

أولا : اهتزاز أرض المعركة تحت أقدام الكفار ، وامتلاء قلوبهم بالرعب والاضطراب.

ثانيا : وقوع سبعين رجلا من رؤساء الكفر وزعماء الشرك صرعي في ميدان القتال وتلك المعركة الساخنة .

ثالثا : أسر سبعين آخرين من أتباع الباطل لدي المسلمين ... تلك هي نتيجة هذه المعركة ، وهذه هي الخسارة الفادحة التي أصيب بها الكفار ، أما المسلمون فليست لديهم خسائر إذ أن هذا العدد الذي استشهد منهم والذي لا يجاوز أربعة عشر شهيدا، فإنه قد فاز بالاستشهاد في سبيل الله والشهداء لهم الحياة الخالدة عند ربهم ، وهم فرحون بالأجر العظيم الذي أعده الله لهم ، والذي تحدث عنه القرآن الكريم في قول الله تعالي : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ .(آل عمران : ١٦٩-١٧١).

إن معركة بدر كانت نقطة تحول في مسار الدعوة الإسلامية ، وانتصارا عظيما لجند الله ، وانهزاما واضحا لجند الشيطان ، مع أن المعركة كانت غير متكافئة بين الجانبين ، حيث كان عدد الكفار نحو ألف مقاتل بكامل أسلحتهم، في حين لم يتجاوز عدد المسلمين ثلاثة عشر رجلا وثلاثمائة ، وإذا فبدر كانت بفضل الله ومعونته دفعة قوية في طريق الانتصارات الإسلامية ، وقفزة رائعة نحو الانتشار والذيوع ، ومقدمة لتقليم أظفار الشرك وتحطيم ما لدي المشركين من حصون وقلاع ، ولقد أدرك المسلمون إدراكا قويا وعمليا بأن الله معهم بالنصر في كل لحة ، والتأييد الرباني في كل وقت وأنه - جل شأنه - لن يتخلي عنهم مهما اكفهر الجو أمامهم ، ومهما كثر أعداؤهم وتعددت المؤامرات ضدهم والقرآن الكريم قد أثبت تلك الحقيقة ، وجسدتها الوقائع والشواهد ، وصدق الحق

تبارك وتعالي حيث قال في محكم التنزيل وهو خير القائلين :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ (محمد : ٧).

والحق لابد أن ينتصر مهما طال الأمد ، والباطل لابد أن ينهزم ولو لبس ثوب الأسد ، والصراع قديم بين الحق والباطل قدم الزمان ، والحرب سجال بين أتباع هذا وذاك ولن تتوقف إلا إذا توقفت الحياة ، وفي النهاية تحسم المعركة لصالح الحق وأتباعه ، وهزيمة الباطل وأعوانه ، لأن من أسماء الله - تعالي - الحق ، وهو يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وقد سجل كتاب الله تعالي نصر المؤمنين بعونه سبحانه في تلك الغزوة المباركة ، وبين أن قلة العدد وضآلة الأسلحة المادية ، لا يقفان حجر عثرة أمام النصر الرباني ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ (آل عمران : ١٢٣).

إنها بداية موفقة ناجحة ، وإنها معركة لم يخطط لها المسلمون ، ولم تجل بخاطرهم ، ولم يكونوا يعرفون انهم سيخوضونها ، وإنما فوجئوا بفرضها عليهم ، لكنها كانت لصالحهم ، وسبق في علم الله أن تكون هذه المعركة ، ليلقن فيها الكفار الدرس القاسي ، وليهزموا فيها شر هزيمة ، وليعلموا أن الحق يعلو ولا يعلي عليه ، وأن أرضية الباطل هشة وليست ثابتة ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم﴾ (البقرة : ٢١٦).

إن رب العزة - جل شأنه - أنزل في القرآن الكريم آيات تبين وقائع تلك الغزوة وكيف أنه - سبحانه - أوحي إلى الملائكة بأن يكونوا مع جند الحق مقاتلين مثبتين لهم ، وامتثل ملائكة الله لما أمر به الله ، فكانوا في الصورة مع

المؤمنين ، يؤازرونهم ويحاربون معهم ، وينظر الكفار فيجدون أعدادا ضخمة في ميدان الحرب ضدهم ، فتمتلئ قلوبهم رعبا ثم إن الله ألقي النعاس أمنة منه علي المؤمنين ليحاربوا وهم في أتم راحة بعد هذا النعاس ، كما أنه - سبحانه - أنزل الماء من السماء ليطهر به المؤمنين ، ويذهب عنهم رجز الشيطان ، وليربط علي قلوبهم ، ويثبت به الأقدام ، إنها الرعاية الربانية ، وإنه التخطيط الإلهي وإنه النصر من عند الله ، وصدق رب العزة حيث قال :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ، إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ﴾ (الأنفال : ٩ - ١٣).

تلك هي غزوة بدر مفتاح الخير ، وتلك أول موقعه بين الحق والباطل وقد تجلت فيها الرعاية الربانية ، ونصر الله أحبابه المؤمنين وخذل الكافرين أعداءه ، ودارت علي قوي الشر الدائرة ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا .

أيها الإخوة والأخوات : لابد من انتصار الحق دائما ولابد من انهزام الباطل مهما كان قويا ، لأن الله لا يرضي أن يعلو صوت الباطل علي صوت الحق، ولئن كان المسلمون مروا بتجارب قاسية ، ومحن شاقة ، فإن هذه أمور عارضة لابد أن تزول ، وإنا لنسأل ربنا - جل شأنه - أن يمنحنا القوة المبنية علي الحق ، ويؤيدنا بالحق ، وينصرنا علي أعدائنا الذين تكالبوا علينا في هذا الزمن ، وحاربونا في الخفاء والعلن ، وهو سبحانه خير ناصر ومعين .

الحلقة العشرون

الدروس المستفادة من غزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد انتهينا من الحديث عن غزوة بدر ، والحديث أوسع نطاقا مما تحدثت ، ودائرة الكلام عن تلك الغزوة أكبر مما ذكرت ، والآن إلى بعض الدروس المستفادة من هذه الغزوة فماذا نجد في تلك الموقعة التي تحدث عنها القرآن الكريم من دروس ؟ إننا نستنبط منها درسا رائعا له أهميته، وهو الديمقراطية والشورى ، إذ أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لم يكن منفردا برأي ، ولم يفرض علي أصحابه قرارا بخصوص المعركة ضد الأعداء ، وإنما جمعهم في جو ديمقراطي حر واستدعاهم للاستئناس برأيهم والتعرف علي أفكارهم ، وجلس عليه السلام معهم علي مائدة الشورى وفوق بساط البحث وطلب منهم إبداء آرائهم وأفكارهم حيال هذا التجمع العدواني ، لأن الأمر جد خطير ، ولأنهم أمام طوفان مدمر من الحقد فلا بد - والحال هذه - من أن تعرض الآراء وتمحص ، وتبرز الأفكار ، ويتخذ القرار ، القرار الجماعي الموحد ، الذي يمثل أفكار الجميع ، والذي يجسد واقع نياتهم ، ويكون فيه ارتفاع إلى مستوي المسئولية ، والشورى لها أهميتها ودورها الكبير ، وهي وسيلة لغاية نبيلة ، ووسيلة إلى فكر مستنير ، ورأي قوي بناء ، وقرار موحد ، يستهدف الصالح العام ، ويبعد المجتمع عن الهلاك والدمار ، ويكون فيه الخير والرفعة ،

والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ، قد استشار أصحابه ليصل بالمجتمع الإسلامي إلى هذه الغاية النبيلة ، وليجعل منه مجتمعا قويا ، يستطيع أن يواجه المشاكل ، ويحطم الصعاب ، ويتحدى العقبات ، ويحقق النصر ، ويواصل المسيرة في أمان واطمئنان ، ثم إنه بالشورى احترم مشاعر أصحابه ، وكرمهم وقدرهم ، حيث أشركهم معه في الرأي ، ولم ينظر إليهم نظرة فيها امتهان لهم وازدراء ، إنـه - صلوات الله وسلامه عليه - قد جسد لنا هذا الدرس الرائع عمليا ، وهو بهذا يريد أن تحذو أمة الإسلام من بعده حذوه ، وأن تسير علي هذا النمط الديمقراطي المبني علي الشورى ، التي قال ربنا عنها إنها من مقومات العقيدة الإيمانية ، وسمة من سمات المسلم الحقيقي ، وهذا هو قوله تعالي :

﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شوري بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون ﴾ (الشورى : ٣٨) .

إن الأمة المسلمة حين تحقق هذه الصفات وتلك السمات ، فإنها تكون آمنة علي مستقبلها ، قوية في مسيرة حياتها ، وتستطيع أن تواجه مشاكل الحياة وعقدها بشجاعة ، وتعالج الأمور بحكمة ، وتضع الأسس السليمة التي تمكنها من النصر علي الأعداء، إنه يتراءى لنا هذا الدرس العظيم من خلال هذا الجمع الكبير لكل من الأنصار والمهاجرين ، وإصدارهم قرارا واحدا متفقا عليه ، وهو خوض المعركة ضد الأعداء ، مهما كان حجمهم وعدتهم ، ومهما كلفهم ذلك من تضحيات ، ثم إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يقف عند هذا الحد من الأخذ بالشورى في البداية ، وإنما أخذ بها أيضا بالنسبة للموقع الذي يعسكر فيه المسلمون ، ولهذا نزل علي رأي الحباب بن المنذر عندما أشار بتغيير الموقع ، وأخضع - عليه السلام - الخطة للرأي والحرب والمكيدة ، كما أنه استشار

بالنسبة للأسرى الذين أسروا في هذه الغزوة ، وهكذا نجد الرسول العظيم يستشير أصحابه ويحترم أراءهم مع أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأنضجهم فكرا ، هو مع هذا كان يجسد عمليا قول الله تعالي : ﴿ وأمرهم شوري بينهم ﴾ (الشوري : ٣٨).

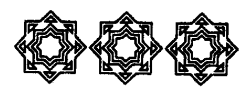
وقوله سبحانه : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (آل عمران : ١٥٩) .

إن الشورى لها مكانتها الكبيرة في الإسلام ، ولها أهميتها في قوة بناء المجتمع ، ولهذا يجب الاهتمام بالشورى ، والعمل بها وعدم إهمالها ، ولا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، هذا هو الدرس الأول من دروس غزوة بدر ، وهو كما نري درس كبير له أهميته في حياة الناس ، ولا سيما أمة الإسلام.

ويبرز لنا بعد ذلك درس آخر ، وهو أهمية الحصول علي معلومات من العدو ، وكما عرفنا في هذه الغزوة ، كانت هناك سرية استطلاع قبل الدخول في الحرب ووظيفة هذه السرية جمع معلومات عن العدو ، وقد استطاع الرسول ، عليه السلام - عن طريق سرية الاستطلاع هذه أن يعرف بعض الأسرار عن العدو ، عن مكان تجمعه ، وعن عدد أفراده ، وما إلى ذلك من معلومات أخري هامة ، وبهذا استعدت قوات المسلمين وهي متيقنة من الموقف ، وأية موقعة حربية لابد من الاستطلاع قبلها ، وجمع كل ما يمكن الحصول عليه عن العدو، من حيث تسليحه ومن حيث عدده ، ومن حيث تدريبه ، ومن حيث طرق تموينه ، وما سوي ذلك من أمور أخرى تفيد ، فالرسول - عليه السلام - لم يدخل المعركة وهو خال من المعلومات عن أعدائه ، وإنما كان علي دراية من أمور تتعلق بهم ، حتي يضع خطته بناء علي ذلك ، وحتى يعمل علي انتزاع النصر من هؤلاء الأعداء ومن خلال استعراضنا لهذه الغزوة ، نستنبط درسا آخر،

وهو أن الروح المعنوية لها ثقلها وقيمتها في ميزان الحرب ، وكما نعرف كان عدد المسلمين بالمقارنة بعدد الأعداء قليلا ، وكانت عدة المسلمين ضئيلة ، ولكن مع هذا الفارق الكبير كان النصر للمؤمنين ، نظرا لان قلوبهم كانت عامرة بالإيمان ، مليئة بالثقة في نصر الله ، ولأنهم كانوا يدافعون عن مبدأ وعقيدة ، وقد دخلوا المعركة ولديهم رصيد كبير من الاقتناع بعدالة قضيتهم ولهذا كانوا يستهينون بالصعاب ، ويستبسلون في القتال ، ويحاربون بشجاعة منقطعة النظير ، فكانت النتيجة النصر علي الأعداء ، وإلحاق الهزائم بهم ، وفي المقابل نجد أعداء المسلمين لم يكن لديهم شيء من ذلك ، فلا قوة معنوية عندهم ، ولا مبدأ لديهم يدافعون عنه ، ولا عقيدة سليمة تملأ قلوبهم، وإنما دخلوا المعركة من فراغ ، ولهذا حلت بهم الخيبة ، وباءوا بالخزي والعار ، ولحقت بهم الهزائم ، وإذا لا بد من وجود الروح المعنوية وارتفاعها لدي من يدخلون المعارك ، و لابد من القلب المملوء بالإيمان بالله والثقة في نصر الله ، وإلا كان الرعب وعدم النجاح ، والوهن والإخفاق .

أيها الإخوة والأخوات : تلك بعض الدروس قد استنبطناها من غزوة بدر وهي دروس هادفة نافعة ، فيها الخير كله ، وبها تتحقق الآمال ، وبتطبيقها وتعميقها والاهتمام بها يكون النصر العظيم ، وهناك دروس أخرى تستنبط من هذه الغزوة ، ولكني أكتفي بما تقدم من دروس ، والله أسأل أن ينفعنا بهذه الدروس وغيرها ، وأن يجعلنا كذلك من المنتفعين بدروس الحياة ، وما أكثر ما فيها من دروس ، وما أغزر ما تؤديه للإنسانية من معلومات ، هذا وبالله التوفيق .



الحلقة الحادية والعشرون

فتح مكة عز به الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فنحن الآن مع ذكرى عزيزة خالدة ، ومع حدث هام من أحداث التاريخ الإسلامي ، الذي كان في مثل هذه الأيام من ذلك الشهر المبارك شهر رمضان ، وفى السنة الثامنة الهجرية ، ذلكم الحدث العظيم الذي كان في مثل هذه الأيام ، وغير وجه التاريخ ، وسجله الزمن بمداد النصر الكبير ، والذي دوى في سمع الدنيا كلها ، هو فتح مكة والسيطرة على كل شيء فيها ، والتمكن من إخضاعها لكلمة الإسلام والمسلمين ، والسبب في فتح مكة يرجع إلى أن قريشا نقضت عهدا بينها وبين الرسول ، وذلك بمساعدتها قبيلة بنى بكر حليفتها ضد قبيلة خزاعة حليفة رسول الله ، وتحريضها لبنى بكر على الثأر من خزاعة ، وإمداد القبيلة الحليفة لها بالأسلحة والمال والرجال ، مما ترتب على ذلك الهجوم على ديار خزانة وقتل عدد كبير من هذه القبيلة المحالفة لرسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وعرف الرسول ما حدث من قريش ، من نقض للعهد ، وتحلل مما اتفق عليه من عدم اعتداء ، وخيانة وعدم احترام لما أبرم من اتفاق ، ولما كان الأمر كذلك ، فقد وجد الرسول الفرصة السانحة لغزو مكة وفتحها ، وإيقاف هذا النزيف الذي هو من صنع قريش، وبدأ الرسول في دعوة المسلمين

سرا إلى الاستعداد للجهاد في سبيل الله ، وعلمت قريش باستعداد المسلمين للجهاد ، فشعرت بالرعب وأحست بالخوف يسرى في أوصالها ، ورأت تجنب الدخول في معارك ضد المسلمين ، لأنها لقنت دروسا قاسية من جانبهم ، وأريقت منها الدماء على أيديهم ، ولأنها تعرف قوة المسلمين وبأسهم ولذا رأت قريش أن تبعث زعيمها أبا سفيان من أجل هذا الغرض ، ولكنه أخفق فيما جاء من أجله ، ولم يحقق الهدف الذي كانت تسعى إليه قريش ، وكان لابد أن يفشل ، إذ أن قريشا حاربت الإسلام بكل وسيلة من الوسائل ، وهى إن كانت تطلب السلام فهي لا تطلبه من منطلق صفاء النيات ، فالقلوب كما هي حاقدة، والنفوس كما هي ملوثة ، وروح العداوة كما هي لم تتغير ، وإذا فدعوتها إلى السلام ليست إلا خداعا ، ومد يدها بالتفاوض ليس إلا تمويها ، ومن أجل ذلك رفضت دعوة قريش . وأعد الرسول - عليه الصلاة والسلام - حملة عسكرية لغزو مكة ، وجند جميع القادرين على القتال ، وتكتم أنباء الغزو ، وأمر بمراقبة الطرق الموصلة إلى مكة ، وبينما الرسول يعد للغزو في سرية تامة ، وبينما هو يجهز المقاتلين لفتح مكة والذهاب إليها ، إذ بخبر من السماء يأتي إلى رسول الله ، وهو أن حاطب بن أبى بلتعة أحد المسلمين ، قد بعث مع امرأة تدعى سارة ، رسالة إلى قريش يخبرها فيها بأنباء الغزو المرتقب ، بعد أن أغراها هذا الرجل بالمال ، وهنا أرسل النبي - صلوات الله وسلامه عليه - عليا والزبير بن العوام ليلحقا بهذه المرأة التي كانت تخفى الرسالة في شعرها ، واستدعى حاطب ، وناقشه الرسول في جريمته ، فقال له : إنه لم يفعل ذلك ارتدادا عن الدين ولا خيانة له ، وإنما أراد أن يكسب رضا قريش لترعى أهله

الضعفاء بمكة ، وأراد على - كرم الله وجهه أن يدق عنق حاطب جزاء له على خيانته ، ولكن الرسول صلوات الله وسلامه عليه حال بينه وبين ذلك ، وقال عندئذ :

- لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر ، ثم قال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وقد انزل الله - تعالى - في القران الكريم بخصوص هذا الموضوع قوله تعالى :

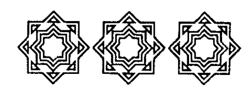
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ (الممتحنة : ١).

وعفا الرسول - عليه السلام - عن حاطب ، ولم يعاقبه على ما حدث منه، نظرا لمواقفه السابقة في ميادين الجهاد ، ولأن الله أطلع الرسول على ما تحمله المرأة ، وحال بينها وبين الوصول إلى مكة ، ولم يتحقق الهدف الذي من أجله كانت الرسالة ، فالعفو إذا نابع من منطلق الشكر لله على إخفاق تلك المهمة ، وعلى أن هناك حراسة ربانية ، وترتيبا إلهيا لصالح الدعوة الإسلامية .

وأمر الرسول - عليه السلام - بإعلان الاستعداد القتالي من جانب المسلمين لدخول مكة ، وخرج - عليه السلام - على رأس جيش كبير قوى ، جيش الإيمان والتوحيد ، وجند العقيدة والثقة في نصر الله ، وكان الرسول مسرورا كل السرور لارتفاع الروح المعنوية لدى المسلمين بشكل ملحوظ وصورة أوسع عمقا وأكثر إيجابية . . وسلك الجيش الإسلامي دروبا بين الجبال لم تكن مطروقة من قبل ، وسار في خفة وحركة ومنظر يسر من يراه ، ومشى هذا الجيش يظلله الإيمان ، ويدفعه إلى مكة هدف نبيل ، وقد حرص المسلمون

على ألا يصدر عنهم صوت ولا ضجيج ، أو دق طبول أو جلبة ، حتى لا يعرف المشركون شيئا عن تحركاتهم ، ولكي يفاجئوا أهل مكة بدخولهم حاملين راية النصر معهم ، ومطوقين مكة ومسيطرين على كل بقعة فيها ، وخرج أبو سفيان للقاء رسول الله ، وشفع له العباس عم رسول الله ورأى أبو سفيان جند الله وكتائب الإيمان ، وأدرك قوة الإسلام والمسلمين ، وعرف بما لا يدع مجالا للشك أنهم على حق وصواب ، وأن ظل الإسلام يمتد ويمتد ، وقد كان هذا الذي شاهده أبو سفيان محركا لضميره ، ومقوما لتفكيره ، ومنيرا لقلبه ، ولذا أعلن إسلامه ، ودخل في هذا الدين العظيم ، وأصبح من عداد المسلمين ، بعد أن كان حربا عليهم ومعاديا لهم ، ومحرضا على قتالهم والانتقام منهم ، وقد أكرمه الرسول بأن جعل داره دار أمان ، فمن دخلها من الكفار بعد دخول الجيش الإسلامي إلى مكة فهو آمن ، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان إلى قريش ، ليخبرها بقدوم هذا الجيش الإسلامي الكبير إلى مكة ، وأنه ليس في استطاعة قريش أن تتصدى له ، وليس بوسعها أن تقاوم هذا الزحف العظيم ، وليخبرها كذلك ، بأنه من دخل المسجد الحرام واحتمى به فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .

إنه لنصر كبير من الله ، وإنه الترتيب الرباني لدخول مكة في الوقت المناسب والذي هو في علم الله ، وفى الحلقة اللاحقة سأكمل الحديث عن هذا الفتح الظافر بمشيئة الله، والله الموفق والمعين .



الحلقة الثانية والعشرون

نتائج فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: ففي الحلقة الماضية عرفنا تقدير الرسول عليه الصلاة والسلام لأبى سفيان بعد إسلامه ، والدليل على ذلك أن الرسول جعل بيته محلا للأمن ، فمن لجأ إليه واحتمى به من الكفار فهو آمن " ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن " ولنرجع إلى ما قام به الرسول من ترتيب لنظام الجيش الإسلامي المتوجه إلى فتح مكة ، والنصائح التي زود بها هذا الجيش ، أما بالنسبة للترتيب العسكري ، فهو عليه السلام قسم الجيش إلى أربع فرق ، وأعطى توجيهاته إليها، وهى تتمثل في عدم إراقة دم أحد من الكفار إلا إذا اقتضت الضرورة ، وحتمت الظروف هذا التصرف، إنه عندئذ وفى ظل هذه الظروف وتلك الضرورة ، يكون السلاح هو الذي يحسم الموقف . إنها نصائح نبوية تدل على ما تحلى به الرسول من فضائل . وما أكرمه الله به من تصرفات إنسانية . ولنرجع إلى ترتيب الجيش طبقا لتعليمات الرسول ، إنه كما سبق قسم الجيش إلى أربع فرق ، وجعل الزبير بن العوام على رأس فرقة من هذه الفرق ، وعهد إليه بالدخول إلى مكة من الجهة الشمالية منها ، كما جعل خالد بن الوليد على راس فرقة أخري ، وأمره بالدخول إلى مكة من أسفلها ، وسعد بن عبادة على أهل المدينة

وأن يكون الدخول لمكة من الجانب الغربي من ناحية كداء ، أما أبو عبيده بن الجراح فكان على رأس قوة من المهاجرين ، وهكذا نظم رسول الله الجيش الإسلامي الزاحف إلى مكة على هذا النحو ، مع تزويد الجميع بالتوجيه النبوي، وتأهب الجميع للتقدم ، وهنا صاح سعد بن عبادة وقال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، وعلم الرسول بما قاله سعد ، فلم يعجبه هذا القول ، ولهذا طلب من على بن أبى طالب أن يدرك سعدا ويأخذ الراية منه، تعبيرا منه - عليه السلام - عن عدم رضاه على ما قال ، ودخلت جيوش المسلين مكة ، ولم تجد كتائب الإسلام مقاومة من جانب أهل الشرك ، لكن خالد بن الوليد لقن أولئك الذين تعرضوا له درسا قاسيا أفقدهم الوعي ، وأعمل فيهم السيف الإسلامي البتار ، فسقط الكثير صرعى في ميدان المعركة ، وسقطت بعد ذلك قلعة الشرك في أيدي المسلمين ، فكان سقوطها فتحا عظيما ونصرا كبيرا ، وقد دوى صوت الإسلام في مكة ، وانطلقت الألسنة هاتفة بلا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واهتزت مشاعر المسلمين عند ذلك ، ابتهاجا بهذا الفتح وسرورا بذلك الانتصار ، ووقف الرسول بأعلى مكة وسجد شكرا لله ، وأثنى على خالقه بما هو أهله ، وقصد الكعبة ليطوف بها ، وقام على بابها وقال :

ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ثم تلا هذه الآية الكريمة : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾ (الحجرات : ١٣).

وهكذا جاء النصر والخير من السماء ، وفتحت مكة دون عناء ، وعاد إليها أبناؤها بعد طول غياب ، ومن كان يصدق أنهم سيعودون إليها ؟ وهم

أولئك الذين أخرجوا من ديارهم ، وصودرت أموالهم ، وذاقوا مر العذاب من الكفار ، إن عودتهم كانت في منطق الكفار مستحيلة ، وإن المسلمين لن يستطيعوا العودة إليها أبدا ، لكن رب العزة وهو القادر على كل شيء قد قلب بقدرته أفكار الكفار رأسا على عقب ، ومكن لهؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أن يعودوا إلى وطنهم حاملين رايات النصر والقوة ، وفى ظل العزة والكرامة والسعادة .

وهكذا انتصر الحق وانهزم الباطل ، وأخرست ألسنة الشرك ، ونكست راية الضلال ، وباء الكفار بالخيبة والانهزام ، وقد أمر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بلالا - رضى الله عنه - أن يقف على الكعبة ويؤذن ، واستجاب بلال لأمر الرسول ، وانطلق صوته الجميل يتردد في أرجاء مكة " الله اكبر ، الله اكبر " وارتفع صوت الإسلام عاليا مدويا ، معلنا ألا عبادة إلا لله ، ولا إله إلا الله، ولا عز إلا لله ، ولا نصر إلا من عند الله ، وقام - عليه السلام - بتطهير الكعبة من التماثيل ، وتنظيفها من الأصنام التي كانت تعبد من دون الله، وأخذ يطعن هذه الأحجار بقوسه ، وهو يردد قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ﴾ (الإسراء : ٨١).

وبعد أن تم فتح مكة ، وطهرت الكعبة من الأوثان التي كانت فيها وفوقها ، واستقرت الأمور للمسلمين بها، انتظر الكفار مصيرهم ، وكلمة الحق والعدالة فيهم، واعتقدوا تمام الاعتقاد أنه لابد من عقابهم بقسوة ، وأن محاكمة سريعة منهية حياتهم تنتظرهم ، وأن مستقبلهم مظلم ومهدد بالأخطار ، لا نهم طالما حاربوا الإسلام والمسلمين ، وامتدت أيديهم بالأذى والقتل إلى من قالوا لا

إله إلا الله ، محمد رسول الله ، ولأنهم كثيرا ما لجئوا إلى شتى الأساليب الحقيرة ومختلف الألوان لوأد دعوة الإسلام والتآمر على قتل حامل لوائها ، ولأن تاريخهم حافل بالعنف، والشدة، والغلظة، فمن حصار اقتصادي مرير ، إلى تعذيب وحشي دون رحمة ، إلى تآمر خسيس على قتل الرسول ، إلى غير ذلك من الأساليب الدنيئة الحقيرة التي كانوا يمارسونها ، أنهم - والحال هذه - يعتقدون أن العقاب الشديد سينزل بهم لا محالة ، وأن القصاص العادل سينهى حياتهم بلا رحمة ، وبينما هم في هذا الجو الكئيب ، إذ بالرسول - صلوات الله وسلامه عليه - يقول لهم ما ليس في حسبانهم : ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟

- فيقولون له في ذلة ، مستدرين عطفه وصفحه وتخفيف الحكم عليهم ، راجين أن يكون حكما أخف مما تختزنه أذهانهم ، قالوا لرسول الله :

- أخ كريم وابن أخ كريم . وهنا قال لهم - عليه السلام - هذه العبارة المحمدية التي سطرها الزمان بأحرف من نور : اذهبوا فانتم الطلقاء.

إنهم حينما سمعوا ما قاله الرسول لهم ، بدأ البشر فوق وجوههم ، وتهللت أساريرهم ، وامتلأت قلوبهم غبطة ، ونفوسهم مسرات ، لأنهم لم يكونوا يتوقعون العفو من جانب الرسول عنهم ، وهم أولئك الذين سودوا حياتهم بأعمالهم الشريرة ، وصدرت منهم أفعال شيطانية خسيسة ، ومع هذا كان هذا الموقف المحمدي المشرف ، الذي يمثل العفو في أسمي معانيه ، والصفح الجميل في أنضر مجاليه ، لقد تمثل في دخولهم في دين الله أفواجا ، وتسابقهم في الانضواء تحت لوائه . هذا هو فتح مكة ، وتلك هي النتائج الطيبة التي ترتبت على هذا الفتح ، وما النصر إلا من عند الله ، والله الموفق .

الحلقة الثالثة والعشرون

الدروس المستفادة من فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : ففي الحلقتين السابقتين كنا في ذكري الانتصار الكبير ، ذكرى فتح مكة ، الذي به انطلقت دعوة الإسلام فتية قوية ، بعد أن زال بهذا الفتح ما كان في طريقها من عقبات، وبعد أن تحطمت صخور المقاومة ، العنيدة من جانب الأعداء .

وقد عرفنا سبب الفتح والنتائج الكبيرة التي ترتبت على ذلك ، وفى هذه الحلقة التي معنا ، سنستخلص الدروس المستفادة من هذا الفتح الأعظم ، ومن بين تلك الدروس بل أعظمها ، هذا الموقف المحمدي الرائع ، موقف العفو عند المقدرة، موقف النبل والسمو ، موقف الكمال الإنساني ، فها هو ذا - صلوات الله وسلامه عليه - ، قد تمكن كل التمكن من أعدائه ، وصاروا جميعا في قبضته ، وأصابع الاتهام تشير إليهم بالإدانة وسوء المصير ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه والحال هذه لديه القدرة على إنزال أشد العقوبات عليهم ، وتوقيع أقسى العذاب ضدهم ، والقيام بعمل حاسم جزاء لهم على ما قاموا به من أفعال شريرة .

وللرسول الحق في هذا إن أراد ، لأن هؤلاء الأعداء قدموا إليه وإلى المسلمين ورسالة الإسلام أبشع ألوان الإساءة ، وبذلوا كل ما في وسعهم لمحاربة

الدعوة الإسلامية ، وقتلوا بعض المسلمين وعذبوا كثيرا منهم ، لا لذنب اقترفوه ، ولا لجريمة ارتكبوها ، وإنما لأن قلوبهم استنارت وتجاوبت مع دعوة الإسلام ، واعتنقت عن اقتناع عقيدة الإيمان ، كما أن الكفار تآمروا بليل على قتل الرسول والقضاء على رسالته ، وإراقة دمه بين القبائل كلها ، وعندئذ يرضى أهله بالدية، كل ذلك وغيره من أعمال شائنة ، يعطى الدليل للرسول الحق على إدانتهم والقضاء عليهم ، والمبرر القوى للانتقام منهم .

ولكن ماذا كان موقف الرسول حيال أولئك الأعداء ؟ هل هو حكم عليهم بالإعدام ؟ وهل أنهى حياتهم على أسوأ صورة ؟ إنه لم يفعل شيئا من ذلك كله ، وإنما كان موقفه على النقيض من ذلك . إنه موقف يتفق مع سمو خلقه ، وتصرف يتلاءم وما تحلى به من فضائل ، حيث أصدر أمره الكريم بالعفو عنهم ، وعدم التعرض بسوء لهم ، وحسن التعامل معهم ، وقال لهم قوله المأثور ، الذي دونه التاريخ بأحرف من نور ، ومداد عطري عبق ، قال لهم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " وهذه العبارة المحمدية لا تزال ذات رنين في سمع الدنيا ، ولا تزال خالدة معطرة الكون بأريجها ، ولقد أثر هذا الموقف النبوي في قلوب من عفا عنهم ، ونتيجة لهذا صار أعداء الأمس أحباء الإسلام اليوم، ولمسوا عن قرب وتجربة ما يتمتع به هذا الرسول من خلق سام كل السمو ، وعفو كريم عظيم يتوج رأسه ، وما ينطوي عليه هذا الدين العظيم من أخلاق عالية ، ومبادئ سامية ، وصفح منقطع النظير ، وتسامح كبير .. ولهذا سارعوا إلى اعتناقها، وتسابقوا في الانضواء إلى هذه الدعوة قوة جديدة تشد أزرها ، وتدافع عنها ، وتبذل الغالي والنفيس في سبيل قوتها، وتخطى كل الحواجز التي قد تقف في طريقها، أو تعطل مسيرتها الناهضة.

إنه لدرس رائع من دروس هذا الفتح المبارك ، وإنه لخلق محمدي عال فاضل ، يدل على شخصية كبيرة ، استمدت تربيتها من السماء ، وتلقتها عن رب خالق الكون هذا هو الدرس الأول .

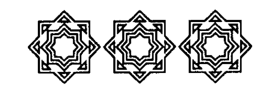
أما الدرس الثاني : فيستنبط من تلك الوصية النبوية للجيش الإسلامي ، التي تتضمن عدم التعدي على أحد من الكفار ، مادام لم يحدث منهم عدوان على المسلمين ، وعدم رفع السيف في وجه أحد منهم مادامت سيوفهم راقدة في أغمادها، وبالإضافة إلى ذلك ، تصرف الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - مع سعد بن عبادة حين قال :

- اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ... إنه - عليه السلام - حين سمع سعدا يقول هذا الكلام ، عزله عن عمله القيادي ، وأقصاه عن قيادة الكتيبة التي أوكلت إليه ، وأخذ عليه السلام - الراية منه وأعطاها لعلى - كرم الله وجهه - ولم يرض عما قاله سعد وما صدر منه ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نفس كبيرة ، تحلت بأرق الشمائل ، وأنبل الخلال ، وهو - عليه السلام - بهذا العمل وتلك الوصية ، لا يحب البدء بالعدوان، ولا تقبل نفسه أن يكون جيش المسلمين بعيدا عن المحاسن الإسلامية والخلال الإنسانية .. يغرسها الرسول في نفوس المسلمين ، ويعمقها في قلوبهم ، ويريد لهم أن يتعاملوا بها حتى مع أعدائهم .

تلك هي الأخلاق الإسلامية الفاضلة ، التي جاء بها رسول الإسلام والتي تدل على أن الإسلام ليس عقيدة وعبادة فحسب ، وإنما هو دين عام وشامل ، وانه يحتضن الجوانب الإنسانية ، والقيم والمثل والمبادئ ... ويظهر لنا من خلال

فتح مكة دروس سوى ما ذكر ، وهو انتصار الحق وأهل الحق ، وانهزام الباطل وأهل الباطل ، فها هم أولاء المسلمون ، قد نزحوا عن مكة وأخرجوا منها ، وهاجروا إلى أرض أخرى غير أرضهم ، وأجبروا على ترك بلادهم وهى احب البلاد إليهم، وبعدوا عنها رغما عنهم ، وفروا بعقيدتهم وإيمانهم ، وخرجوا من البقعة التي نشأوا فيها وتربوا ، لأن قريشا تتعقبهم وتضمر السوء لهم، وتنوى إنزال العقوبات عليهم، إنهم هاجروا تحت وطأة تلك الظروف القاسية ، ولكن لم يمض عليهم سوى سنوات قليلة في دار هجرتهم ، استطاعوا بعدها أن يرجعوا إلى بلادهم ، ولم يكن رجوعهم مصحوبا بالحماية ، وإنما كان مقرونا بالعزة والكرامة ، والنصر والظفر ، مصحوبا بالفتح والتطهير ، تطهير الكعبة من الدنس، وتنظيفها من الدرن .

أيها الإخوة والأخوات : تلك هي بعض الدروس النافعة ، ولعلى وفقت في استنباط تلك الدروس ، وإني لأرجو الله سبحانه، أن يفتح مغاليق قلوبنا، ويفتح علينا فتوح العارفين به ، وأن يوفقنا إلى الأخذ بوسائل فتح مغاليق القلوب ، والتي تتمثل في ذكره وعبادته ، وتسبيحه وحمده، اللهم آمين .



الحلقة الرابعة والعشرون

العبادات شرعت لأهداف

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فرب العزة - جل جلاله - ، لم يأمرنا بأداء العبادات عبثا ، وحاشا لله أن يكون كذلك ، وإنما هناك حكم وأهداف ، وكلها لمصلحة الإنسان، إنه - سبحانه - شرع العبادات وفرض علينا أداءها ، ليعلمنا مكارم الأخلاق ويعمقها في قلوبنا ، ولكي نستفيد من كل جانب من جوانبها ، ونتأثر بكل زاوية من زواياها، كان التنويع في العبادات ، من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك . وللصوم أثر كبير في غرس فضيلة الخوف من الله تعالى ، وتنبيه الصائم إلى أن الله مطلع عليه، عالم بحركاته وسكناته ، وأن كل ما يصدر منه أو يضمره مسجل عليه، سواء كان ذلك ليلا أو نهارا ، سرا أو جهرا.

ورب العزة مع الإنسان أينما كان وحيثما وجد ، في أي زمان أو مكان ، وصدق سبحانه حيث قال : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (الحديد : ٤).

تلك هي الحقيقة التي جاء بها كتاب الله تعالى ، ومن ذلك أن تكون هناك يقظة قلبية ، وخوف من الله ، الذي يعلم السر والنجوى .

ومن هنا نجد الصائم لا يجرؤ على إفساد صومه ، ولا يستطيع أن يتناول شيئا من الطعام والشراب في خلوته ، ولا تطاوعه نفسه أن يمد يده إلى شيء من الفواكه المحببة إلى النفس بعيدا عن أعين الناس ، إنه لا يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك ، وما السر الذي جعله يحجم عن تناول شيء في خلوته وهو صائم ؟ وما السبب الذي قيده بهذه الصورة دون ضغوط عليه ؟ إن السر في ذلك هو الخوف من الله العالم بكل شيء ، والسبب هو الرهبة من الخالق الذي يحاسب ويجازى ، فالخوف من الله حاجز يحول بين الإنسان وبين ما يشتهى ، ويمنعه من تناول ما يتعارض مع صومه ، ويبعده عن الانزلاق في مهاوي الرذيلة ، ويدفعه إلى السمو والنبل والفضائل ، وينقله من دنيا المعاصي إلى دنيا الطاعة ، ومن جو الأدران إلى جو العبادة ، ويقوده إلى الصراط المستقيم ، وفى هذا السلوك الإيماني حسن المستقبل دنيا وأخرى .

والخوف من الله - تعالى - ثمرة من ثمار العبادة ، ويظهر جليا عند أداء فريضة الصيام ، ويتمثل واضحا في موقف الصائم من الامتناع عما لذ وطاب ، فمن من الناس يراه إذا تناول الطعام أو الشراب أو الفاكهة وهو في داره ؟ ومن ينظر إليه من الخلق إذا اتصل بزوجته ومنزله مغلق ؟ انه لا أحد يراه من الناس مادام الأمر كذلك ، وهو في أمان منهم ومن نقد المجتمع له ، وهو - والحال هذه - يستطيع أن يفعل أي شيء مادام بعيدا عن أعين الناس ولكنه لا يفعل ، ولا يجرؤ على أن يفعل.

وإذا لابد من وجود شيء آخر هو السبب في منعه من تناول فطره حين صيامه وإغلاق منزله عليه ، ويتمثل ذلك في الخوف من الله تعالى ، الخوف الذي

يجتث من نفسه أدران الشر ، ويأخذ بيده إلى الطريق السوي ... إن الخوف من الله شعار الصالحين ، وقرين المهتدين ، وقائد المؤمنين إلى أقوم طريق ، وهو الهادي قلوب الحائرين ، والسبيل إلى سعادة المؤمنين . وبالخوف من الله والخشية منه - جل شأنه - والبعد عن المساوئ ، والفرار من ذل المعاصي ، وصحوة القلب وطهارة النفس وسمو الروح ، يكون المستقبل المشرق ، والحياة الأخروية الهانئة ، والرضا الرباني العظيم ، ويكون المصير الجنة والنعيم ، وتكون النجاة من عذاب رب العالمين ، مصداق ذلك من كتاب الله تعالى :

﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هي المأوى﴾

(النازعات : ٤٠ - ٤١).

تلكم هي النتيجة الطيبة ، وهذه هي النهاية السعيدة ، وذلكم هو المستقبل الباسم المشرق ، والنجاح العظيم المشرف ، لأولئكم الذين يخشون ربهم، ويخافون الله حق الخوف ، وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير ﴾ (الملك : ١٢).

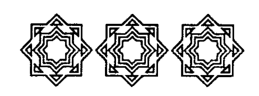
إنه لأعظم مستقبل ، وإنها لأسمى نتيجة ، فمن خاف الله سلم ونجا ، ومن بعد عن الذنب غنم وأجر ، ومن خشي ربه استقام واهتدى .. إن الخائف من ربه ، يعلم أن اليوم عمل ولا حساب ، وأن في الآخرة حسابا وليس فيها عمل ، وهو يدرك أن النفس أمارة بالسوء ، ميالة إلى الشهوات ، فقاوم نزعاتها ووقف جادا أمام ميولها ، وهو يعلم أن الشيطان عدو مبين للإنسان ، فتحداه وقهره ، ونازله وأفسد عليه خططه، وهو بخوفه من ربه، لم يترك للدنيا فرصة

لتفتنه بزخارفها ولم يمكنها من السيطرة عليه بمباهجها ، وشق طريقه في الحياة مستقيما غير معوج ، مهتديا بهدى الدين ، مستنيرا بنور الإيمان ، بعيدا عن الآثام ، متنكبا طريق الشيطان ، والخائف من ربه يتزود دائما بصالح الأعمال ، ويرضى ربه بأفضل الحلال ، ويتخذ دنياه مزرعة خير للآخرة . إن مثل هذا الإنسان يكون في أمن يوم القيامة ، وبعد عن غضب الله وعقابه ، وفي موكب ملائكي نوراني يزف مع أمثاله إلى الجنة وما فيها من نعيم أبدي ، وعز سرمدي، ورضا رباني ، وحياة لا كدر فيها ، ولا مسئوليات تثقل كاهله .

أيها الإخوة والأخوات : هذا هو الصوم ، إنه وسيلة إلى الخوف من الله ، وبه يكون الصائم ذا خشية من خالقه ، ورهبة من ربه ، ومتي وصل المسلم إلى هذه المرتبة ، مرتبة الخوف والرهبة ، نال الرضا الإلهي ، والأمن الأخروي ، وفاز بجنة فيها من ألوان النعيم ما تشتهي الأنفس وتلذ به الأعين ، وكان يوم القيامة في ظل الرحمة الربانية ، فلا غضب من الله ينزل به ، ولا أهوال تزعجه ، ولا كروب تكدره ، ولا خوف من سوء مصير .

أما الذي لا يخاف ربه في دنياه ، فويل له وغضب من الله عليه ، ولن يجد في الآخرة ما يجده الخائف من ربه ، من حسن المستقبل ، وسمو المكانة ، والنجاح العظيم في أخراه ، لأن الله تعالي لا يجمع علي عبده بين خوفين ولا آمنين، إنه خوف في الدنيا يقابله أمن في الآخرة ، وأمن في الدنيا يقابله خوف في الآخرة ، وتلك نتيجة لا تتخلف ، وإنها قضية ذات مقدمة ونتيجة ، فالعارف بربه خائف ، وكل خائف آمن والعارف بربه الخائف من خالقه آمن ، والعكس بالعكس ، أيها الإخوة الصائمون : أيتها الأخوات الصائمات : من عرف أن الله

مطلع عليه ، عالم بجليات الأمور ودقائقها ، وأنه عزيز ذو انتقام، غني عن كل ما ومن سواه ، وأنه محاسب كل إنسان علي ما حدث من تجاوزات في دنياه ، من عرف ذلك بحق، فإنه لن يقترف ذنبا ، ولن يقدم علي معصية وسيتجه في دنياه اتجاها خيرا ، يرضي عنه الله ، ويجازي عليه الجزاء العظيم ، والله نسأل أن نكون من الذين يخشون ربهم ويخافون خالقهم ، وينأون عن السيئات، والله الموفق .



الحلقة الخامسة والعشرون

الصوم تتمثل فيه الوحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فكل عبادة شرعها الله ، سواء كانت صلاة أم صياما أم حجا ، يتجلى فيها معني عظيم ، ويتمثل في أدائها أمر علي جانب من الأهمية ، هذا الآمر الكبير هو الوحدة ، وحدة العبادة ، وحدة الطاعة ، وحدة النظام ، وحدة الهدف ، وحدة الخوف من الله وهذا هو جانب الصيام ، انه تتمثل فيه الوحدة في أروع صورها وأعظم معانيها ، وها نحن أولاء نري الصائمين يمسكون عن الطعام والشراب في وقت معين لا يتجاوزونه ، ويمسكون كذلك عن الطعام والشراب في وقت معين لا يتجاوزونه ويمسكون كذلك عن الناحية الجنسية في زمن محدد ، ولا يمكن لأي منهم أن يفعل شيئا من ذلك ما دام الوقت المعين لم يحل ويظل الوضع كذلك وهو الإمساك والكف عن تناول هذه الأشياء ، من الفجر إلى غروب الشمس ..

إنها وحدة رائعة ، فلا أكل ولا شرب من جانب كل الصائمين طيلة هذه المدة الكبيرة ، ولا تفكير في شيء من تلك المحظورات وإنما كف وامتناع ، وامتثال لله تبارك وتعالي فإذا جاء وقت الغروب ، زال الحظر المفروض علي الصائمين ، حل الطعام والشراب والاتصال الجنسي من الغروب إلى قبيل الفجر،

وفي هذا الوقت الذي يرفع فيه الحظر علي مستوي العالم الإسلامي ، يكون المسلمون أمام موائد الإفطار ، يلتفون حولها ويتناولون ما وضع فوقها ، وهم في فرح وسرور ، لأنهم امتثلوا أوامر الله ، ونفذوا تعليمات السماء ، وصاموا كما أمر الله ، ووفقوا في الإمساك عما يتعارض مع الصيام ، فلهم إذا أن يفرحوا لأنهم نجحوا ، ولهم أن يبتهجوا لأنهم وفقوا ، ويؤيد فرحهم وابتهاجهم بهذا النجاح والتوفيق ، ما جاء في هذا الحديث القدسي : للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه . (أحمد ومسلم).

إنهما فرحتان : فرحة دنيوية : وفرحة أخروية ، وما أعظم فرحة الآخرة إنها فرحة بما أعده الله من مزايا للصائمين وأجر عظيم من الله الكريم . إن الصيام يجسد هذه الوحدة كل التجسيد ، امتناع في وقت واحد ، وفطر في وقت واحد ، ثم إن الهدف واحد ، وهو الحصول علي المكافآت الإلهية ، والوصول إلى الرضا الرباني ، ونجد هذه الوحدة أيضا في الصلاة والحج ، ففي الصلاة وحدة الامتثال والطاعة ، والنظام والهدف ، فالمصلون يمتثلون أمر الله ، وهم يؤدون الصلاة بطريقة معينة ، وكيفية واحدة ، فالجميع يصلون وقوفا عند القدرة ، ويتلون الفاتحة، ثم يركعون وير فعون ، ويسجدون سجدتين بينهما جلوس ، ثم ينهضون للركعة الثانية وهكذا حتى تنتهي الصلاة ، فكل مسلم في أي بقعة من الأرض ، يصلي بطريقة الرسول - عليه الصلاة والسلام - التي علمنا إياها، والتي قال بشأنها : ـ صلوا كما رأيتموني أصلي... فالصبح ركعتان كما كان يفعل الرسول والظهر أربع ركعات ، كما ورد عنه - عليه السلام - والعصر أربع ، والمغرب ثلاث ، والعشاء أربع ركعات ، بلا زيادة في شيء من الصلوات ، ولا نقصان لشيء منها ، وهي تفتتح بتكبيرة الإحرام ، وتختتم بالسلام ولها وقت معين وزمن محدد .

والصلاة بوحدة وقتها وطريقتها وعدد ركعاتها ، تمثل الوحدة في أروع صورة ، والحج كذلك عبادة تجسد الوحدة ، فالحاج يلبس إزارا ورداءا ، ويطوف سبعا ويسعى سبعا ، ويقف بعرفة في يوم معين وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، وهو ينوي عند ميقات معين ، ويرمي الجمرات في وقت معين ، وإذا فعل محظورا وجب عليه أداء ما ألزمه به الشرع مقابل فعل المحظور وكذلك الشأن بالنسبة لترك شئ أمر به .

وهكذا نجد طريقة الأداء واحدة ، والتقيد بأعمال معينة واحدة ، دون فرق بين غني وفقير ، ولا رئيس ومرءوس ، فالحج إذا فيه وحدة ، والعبادات ذات هدف مشترك ، ووحدة رائعة من صنع الله - تبارك وتعالي - .

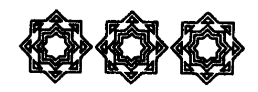
أيها الإخوة والأخوات : إن الصيام فريضة مقدسة وعباده هادفة ، وقانون رباني ، ووراءه الخير والأجر ، وقد عرفنا أن هذه الفريضة تستهدف وحدة الصائمين ، وتبرز هذه الوحدة في صورة واضحة ، يحس بها كل صائم ، ويدركها كل مؤمن حين يري كل الصائمين من الفجر إلى غروب الشمس ، متشبهين بملائكة الله ، فلا طعام يتناولون ، ولا ماء يشربون ولا زوجة يقربون ، حتى ولو كانت النفس بحاجة إلى شيء من ذلك .

إنه إلجام للنفس حقا وإنه الصبر عن المشتهيات ، وإنها الإرادة القوية والعزم والجلد ، وإنها الوحدة التي تجمع الصائمين علي هذه الصورة ، وتضعهم في إطار الامتثال لأمر الله ، والاستجابة للخالق العظيم ..

إن الإنسان في غير شهر رمضان ، لا يستطيع أن يصبر هذه المدة الطويلة دون أكل أو شرب ، ويجد نفسه عاجزة عن الامتناع عن الطعام والماء ، ولكنه في

شهر رمضان يجد لديه القوة والتحمل والصبر الجميل والعزيمة الحديدية ، وما السبب في ذلك ؟ إنه خوف من الله ، وإنها فريضة الصيام التي يجب أداؤها بأمانة ووجل من الله ، وهي تلك التي يؤديها المسلمون بصورة جماعية ، وإنها الوحدة التي توحد مشاعرهم إزاء عبادة ربهم ، وتسكب في قلوبهم احترام تلك الوحدة الإيمانية .

فما أروع هذه الصورة الحية النابضة ، وما أعظم تلك العبادة التي تكون الشخصية الإنسانية المثالية ، وتؤهل المؤمنين لحياة دنيوية وأخروية هانئة سعيدة ، وإنا لنسأل ربنا - جل شأنه -، أن يجعل العبادات ذات احترام من جانبنا ، وأن نؤديها علي الوجه الأكمل الذي به نرضي الله تعالي ، والله الموفق .



الحلقة السادسة والعشرون

ليلة القدر درة في جبين الزمن

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد شرف ربنا جل شأنه – شهر رمضان بليلة طيبة مباركة ، ليلة ذات فضل زاخر ، وخير وافر ، ونفحات وفيوضات وتجليات ، تلكم هي ليلة القدر المباركة ، وقد سجل رب العزة – جل شأنه – فضل تلك الليلة في القرآن الكريم ، وأشاد بعلو مكانتها وسمو منزلتها نبينا العظيم ، وهذه الليلة المباركة الكريمة ، هدية من الله – جل جلاله – إلي أمة محمد – صلي الله عليه وسلم –، وهي من خصائص هذه الأمة المحمدية ، ولم تكن لأمة قبلها ، وهذا فضل من الله ونعمة ، وستظل تأتينا تلك الليلة بخيرها وفضلها ، وبركاتها ونفحاتها ، وقدرها وشرفها ، ستظل تأتينا في رمضان من كل عام ، إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن فضل الله – سبحانه – ، أنه جعل ثواب العمل الصالح في هذه الليلة خيرا من ثواب العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ولقد كان رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – ، حين يجيء الثلث الأخير من شهر رمضان ، يقترب إلي الله تعالي بمزيد من العبادة ، ويشمر عن ساعد الجد في دنيا الطاعة ، ويقبل علي ربه بألوان مختلفة من العبادة .. كان – عليه الصلاة

والسلام - يبذل كثيرا من ألوان العبادة في الثلث الأخير من هذا الشهر ، لأن هذا الثلث وعاء لتلك الليلة ، وقد كان جده - عليه السلام - في هذه الفترة ، راجعا إلى ما في هذه الفترة الزمنية من خير عظيم، وأجر كبير ، وثواب أعظم ، وفضل أوفر من الله - تبارك وتعالي - ولقد كان أصحابه - رضوان الله عليهم - ، يقتدون به في الاجتهاد في عبادة الله في تلك الفترة التي احتضنت ليلة القدر ، وكانوا يتنافسون فيما بينهم في هذا الميدان، ويتسابقون في مجال الخير والطاعة ، علهم يصادفون ليلة القدر المباركة ، التي ميزها الله عن غيرها من الليالي بفضائل شتي ، وحسبها شرفا وفضلا وتقديرا وتكريما ، إن الله أنزل فيها علي رسوله بغار حراء أول باقة من القرآن الكريم ، حيث نزل جبريل - عليه السلام - بقول الله تعالي :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١ - ٥).

هذا أول الغيث ثم تتابع الخير ، وتم إنزال القرآن الكريم الذي هو شفاء وهدي ورحمة للمؤمنين في العام الثالث والعشرين من بعثته - عليه السلام - كما أن الله - تبارك وتعالي - أنزل القرآن جملة واحدة في هذه الليلة إلى السماء الدنيا حيث وضع في بيت رب العزة ، وفي القرآن الكريم دعائم السعادة الدنيوية والأخروية للبشرية ، وهو النعمة الكبرى والهداية العظمي للإنسانية ، ومن فضائل ليلة القدر المباركة ، أنها خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وهي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ، وفيها تهبط الملائكة من السماء إلى الأرض ، فتحيي الطائعين ، وتلقي السلام علي العابدين ، ويستمر تكريم

الملائكة لعباد الله الصالحين إلى أن يطلع الفجر ، وحينئذ تصعد إلى السماء بأمر الله - سبحانه وتعالي - وتكريما لهذه الليلة من الله ، أنزل الخالق - سبحانه وتعالي - في القرآن الكريم سورة سماها القدر ، وبين فيها ما لهذه الليلة من عظمة وفضل ، وما تمتاز به من نزول الرحمات الإلهية؛ والفيوضات الربانية؛ والعطايا السماوية ، وتلك هي سورة القدر التي تبرز فضل ليلة القدر :﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ (القدر : ١-٥) .

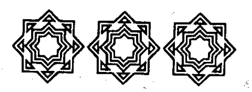
وقد ورد في سبب نزول تلك السورة ، أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ذكر للصحابه أن رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك أشد العجب ، وتمنوا أن يكونوا مثل هذا الرجل، فأنزل الله تعالي هذه السورة الكريمة ، وبين فيها أن ليلة القدر خير من ألف شهر، التي لبس فيها ذلك الرجل الصالح سلاحه في سبيل الله ، وقيل إن رسول الله - صلي الله عليه وسلم - ذكر لأصحابه أن أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ألف شهر ، ولم تحدث منهم خلال هذه المدة معصية ، فعجب أصحاب رسول الله ، وتمنوا أن يكونوا كهؤلاء في العبادة وعدم المعصية ، وفي فترة طويلة كهذه الفترة ، فنزل سفير الوحي جبريل - عليه السلام - من السماء علي رسول الله ، وقال له : عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ، فقد أنزل الله خيرا من ذلك ، وقرأ عليه سورة القدر وقال له : هذا أفضل مما عجبت منه أنت وأمتك ، فسر الرسول - عليه الصلاة والسلام - كل السرور ، وفرح المسلمون أشد الفرح .. وليلة القدر علي أصح الأقوال في الوتر في العشر الأخير من شهر

رمضان ، وقد قال الرسول - صلي الله عليه وسلم - ما يبين أنها في تلك الفترة، حيث قال : "التمسوها في العشر الأواخر من الوتر" .

والأصح كذلك أنها في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك .

أيها الإخوة والأخوات : إن ليلة القدر ليلة غراء ، وهي درة في جبين الزمن ، لما تزخر به من خير عظيم وفضل من الله عميم ، وهي فرصة ذهبية للأمة المحمدية ؛ فليكن هناك اهتمام كبير بها ، ولتكن وعاء لعبادتنا وتقربنا إلى الله بطاعته وذكره وشكره والوفاء معه ، ولنعمل فيها عملا صالحا يسجل في ميزان حسناتنا ونحظى من الله بأرفع الدرجات وأعظم المكافآت .

وألوان العمل الصالح كثيرة ، فهناك قراءة القرآن ، وهناك الصلاة التطوعية، والذكر والتسبيح والدعاء وغير ذلك من الألوان الأخرى ، وإذا كان العمل الصالح في غير ليلة القدر مطلوب ، فهو في ليلة القدر ألزم وأوجب ، وإذا كان الثواب من الله علي العمل الصالح عظيم ، فهو في ليلة القدر أعظم وأكبر فلينتهز المسلمون هذه الليلة المباركة ، وليعمروها بالعمل الصالح ، وليكن لنا أسوة بالرسول الكريم في إحياء تلك الليلة المباركة ، بما يقرب إلى الله ، وبما يؤدي إلى رضاه وإلى رحماته وفيوضاته وهطول النفحات والمكافآت ، والله نسأل أن يجعل هذه الليلة شاهدا لنا لا علينا ، ويوفقنا لصالح العمل وعمل الخير ، والله الموفق .



الحلقة السابعة والعشرون

ليلة القدر خير من ألف شهر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فلا زلنا مع نفحات ليلة القدر المباركة ، ولا زلنا نعيش في رحابها الفسيح ، وتحت ظلها الظليل ، ومع ما فيها من فيوضات ربانية ، ورحمات إلهية، وفي هذه الحلقة ، سأكمل الحديث عن ليلة القدر والشرف والرفعة ، ومن أطرف اجتهادات الصحابة في تحديد تلك الليلة ، ما قاله بعضهم ، من أن عدد كلمات سورة القدر ثلاثون كلمة كعدد أيام رمضان ، وأن كلمة " هي " التي تشير إلى ليلة القدر في قوله تعالي في السورة نفسها " سلام هي " وهذه الكلمة التي " هي " رقمها سبع وعشرون من كلمات السورة الثلاثين ، وبناء علي ذلك تكون ليلة القدر ليلة سبع وعشرين .

وعلي كل حال فتلك اجتهادات . وهناك اجتهاد آخر ، وهو أن حروف " ليلة القدر :تسعة حروف ، وقد ذكرت ليلة القدر في السورة ثلاث مرات ، وبضرب عدد الكلمات وهي ثلاث في عدد الحروف وهي تسعة ، يكون الناتج من خلال ضرب عدد الكلمات في عدد الحروف سبعة وعشرين ، وبناء علي ذلك تكون ليلة القدر في السابع والعشرين من شهر رمضان ، وكما قلت من قبل : هذه اجتهادات وقد تكون صحيحة وقد تكون غير صحيحة ، وتلك

محاولات تفسيرية قد تصادف الواقع وقد لا تكون ، أما الثابت اليقيني ، فهو أن القرآن الكريم لم يعين تعيينا واضحا ، وان الرسول - عليه السلام - لم يحددها تحديدا تاما ، وإنما أخبر بأنها تكون في الوتر في العشر الأخيرة من شهر رمضان ، وفي فضل تلك الليلة الكريمة، قال الرسول - عليه الصلاة والسلام :

- من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. (رواه البخاري).

وأفضل ما يدعو به المسلم في هذه الليلة أن يسأل الله العفو والعافية " اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة " وهناك خرافات ألصقت بتلك الليلة ، والدين ضد هذه الخرافات ، ومن ذلك ما قيل في شأن تلك الليلة ، أن فجوة تفتح في السماء كالنافذة مستنيرة ، وهذا شيء لم يرد في الدين ، وإنما هو خرافات وأساطير ، وليلة القدر يراها المؤمن في يقظته أو في منامه ، ولا يصل إلى هذه المرتبة ولا يري تلك الليلة إلا أهل المعرفة الحقيقية بالله ، هؤلاء العارفون بربهم ، يرون ليلة القدر بعلامات وأمارات أرشدنا إليها الرسول - عليه السلام - وتتمثل فيما قاله :

- إني كنت رأيت هذه الليلة وهي في العشر الأواخر في الوتر ، وهي ليلة طلقة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمرا ، ولا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها.

ومشاهد هذه الليلة في اليقظة يعطيه الله صفاء في القلب وقوة ونقاء في الروح ، فيري بعين البصيرة ونور البصر منظرا يؤثر في مشاعره ، ويدرك أن ما رآه هو ليلة القدر ، بما ينكشف له من علامات هذه الليلة الكريمة ، وحينئذ إذا دعا ربه أجاب دعاءه ، وإذا سأل خالقه شيئا أعطاه من فضله وعطاياه ، وليس

كل إنسان مهيئا لهذا الفضل ، وإنما أولئك الصفوة من عباد الله الذين يحظون بهذا الفضل ، أولئك الذين امتلأت قلوبهم بخشية الله والخوف منه سبحانه ، وليلة القدر تتكرر كل عام ، وتأتينا في شهر رمضان ، وقد سئل الرسول - عليه الصلاة والسلام - عنها حيث قيل له : أهي شيء كان قد ذهب أم هي في كل عام ؟ فقال عليه السلام : "بل هي لأمة محمد ما بقي منهم اثنان" .

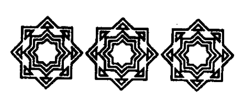
إن ليلة القدر وصفها ربنا بأجل الصفات ، وفيها يقدر الأشياء لسنتها ، ويظهر فيها لملائكته ما قدره أزلا ، وصدق سبحانه حيث قال :

﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ (الدخان : ٤).

وهذا لا ينافي أن ليلة النصف من شعبان فيها تقدير ، حيث إن التقدير ليس نوعا واحدا وإنما هو أنواع ، وأنواعه ثلاثة : أزلي وسنوي وتنفيذي ، فالأزلي : هو تقدير جميع الأشياء التي علم الله أزلا أنها ستكون من بداية الخلق إلى نهاية الدنيا " ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن " والسنوي : جزء من التقدير الأزلي خاص بسنة والله يطلع ملائكته عليه في ليلة النصف من شهر شعبان، والتنفيذي : هو تسليم الملائكة من الله ذلك التقدير السنوي لتنفيذه ، وهذا يكون في ليلة القدر ، وكما أن لكل إنسان منا في تلك الحياة عملا معينا ، فكذلك ملائكة الله لكل منهم عمل معين ، فمن بين الملائكة من هو موكل بقبض الأرواح ، ومنهم من هو موكل بالأرزاق ، وما إلى ذلك من أعمال مختلفة ، وابتداء من ليلة القدر هذه ، ينفذ كل ملك ما أنيط به من عمل. وهنا يرد سؤال وهو " لماذا أخفي الله عنا ليلة القدر ولم يحدد ليلتها ؟. وما السر في هذا الإخفاء ؟.

وللإجابة عن ذلك أقول : إن ربنا أخفي عنا انتهاء آجالنا لنجتهد في الطاعة ولا نسوف ، كما أخفي رضاه عن طاعتنا وعبادتنا له ، حتى نستزيد من الطاعة والعبادة ، واخفي عنا كذلك ليلة القدر، لنلتمسها في ليال بدلا من إلتماسها في ليلة واحدة ، وبهذا الإخفاء ننشط في العبادة فترة أكبر من الزمن ، وهذا مما يزيد الرصيد من حسناتنا ، ويجعل كمية طاعتنا لربنا أعظم .. والرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قرر أن ليلة القدر توجد في الوتر في العشر الأواخر من شهر رمضان ، ولم يحدد زمنها تحديدا واضحا وفي ليلة معينة، وقد أنسي ربنا رسوله محمدا - صلي الله عليه وسلم - لحكمة ، وتتمثل هذه الحكمة في التماس ليلة القدر في ليال عدة ، وترقبها في الوتر في العشر الأواخر من رمضان ، لتكون الفرصة أكبر في طاعة الله وعبادته ، وبهذا الجد في عبادة الله، يكون العابدون محلا للتكريم الإلهي ، والرضا الرباني والعطاء ممن لا تنفد خزائن عطاياه .

أيها الإخوة والأخوات : إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان إذا جاء الثلث الأخير من شهر رمضان ، شد مئزره ، وأيقظ أهله ، وجد في طاعة ربه، وأكثر من تلاوة القرآن الكريم ، وعلينا نحن الصائمين ، ألا تفوتنا الفرصة ، ولا تمر هذه الليلة ونحن في غفلة من ربنا وطاعته ، وألا يمر شهر رمضان دون استزادة من العمل الصالح ، وما الدنيا إلا وعاء لأعمالنا ، فإن كان العمل خيرا كان الجزاء خيرا، وإن كان الزاد قليلا فهذه بضاعة مزجاة ، فلنعمل علي اغتنام الفرصة والاستزادة من العمل الصالح ، لنحظى بالخير الجزيل من الله ، والله الموفق .



الحلقة الثامنة والعشرون

زكاة الفطر وفوائدها

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فزكاة الفطر مرتبطة بشهر رمضان من كل عام ، وقد فرضت هذه الزكاة في هذا العام الذي فرض فيه الصيام ، أي في العام الثاني من هجرة رسول الله - صلي الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة ، وكانت فريضة هذه الزكاة في شهر شعبان ، وقد بعث الرسول - عليه الصلاة والسلام - مناديا نادي في الطرق :

- ألا إن صدقة الفطر واجبة علي كل مسلم .

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال " : فرض رسول الله - صلي الله عليه وسلم - زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير علي العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة .

فزكاة الفطر واجبة بأمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - وأمره - صلوات الله وسلامه عليه - واجب الامتثال والتنفيذ ، وطاعته طاعة لله وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (النساء : ٨٠).

وزكاة الفطر لم تشرع اعتباطا ، ولم تفرض دون حكمة ، وإنما شرعت لأهداف سامية وحكم غالية ، وأي شيء في الدين ، لابد أن يستهدف غايات نبيلة ، ومصالح للإنسانية ، وتلك هي بعض الحكم التي من أجلها شرعت زكاة الفطر .

أولا : الشكر لله علي فضله وتوفيقه للصائم ، وإعانته - جل شأنه - لعباده المؤمنين علي أداء شعيرة الصيام وسنة القيام وهذا الشكر من جانب المؤمن لربه ، يستوجب المزيد من التوفيق والهداية من الله تعالي لعباده الذين يمتثلون أوامره ، مصداقا لقوله تعالي :

﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ (إبراهيم : ٧)، فزكاة الفطر شكر لله علي توفيقه لعباده في أداء فريضة الصيام ، وتعبير عن الاستعداد والاستجابة لأوامر الله وترجمة عما استقر في النفس من انقياد لله ، وطاعة مطلقة للباري - جل شأنه - .

ثانيا : الزكاة اختبار عملي للصائم ، وامتحان للمسلم لما اكتسبه أثناء صيامه ، وكشف عما استفاد وحصله من مدرسة شهر رمضان من رفق بالمعوزين ، وعطف علي الفقراء والبؤساء الذين يعيشون في ظل الفاقة ، ويكتوون بنار العوز ، ويحيون تحت خط الفقر ، ويعانون أشد المعاناة في حياتهم البائسة ، فالزكاة هي التي تخلق في الصائم خلق الشعور بحاجة المعوزين ، ومن أجل هذا كانت فريضة الزكاة .

ثالثا : إغناء الفقراء من ذل السؤال في يوم العيد الذي هو يوم فرح وسرور ، وإبعادهم في هذا اليوم السار عن مد اليد التي تعبر عن الذلة ، وعن المعاناة النفسية، ولذا نجد الرسول - عليه السلام - يأمر بالزكاة من أجل إبعاد

الفقراء عن جو الذل والمسكنة في يوم العيد الذي هو يوم فرح وسرور ، ومن أجل هذا الهدف قال - عليه الصلاة والسلام : "أغنوهم عن ذل السؤال في يوم العيد" .

رابعا : إعطاء الزكاة يكون سببا في رفع الصوم إلى السماء وقبوله لدي الله، وبالتالي يكون الأجر والثواب منه - سبحانه وتعالي - ، ولذا قال - صلوات الله وسلامه عليه - : "صوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بزكاة الفطر".

وإذا فلا فائدة من الصيام إذا لم تؤد زكاة الفطر.

خامسا : في إخراج زكاة الفطر ما يؤدي إلى وحدة السرور والغبطة بين الأغنياء والفقراء في يوم العيد ، بعد أن تساووا جميعا في وحدة الامتناع عن المفطرات ، والشعور بحرارة الجوع ومرارة الظمأ طيلة أيام رمضان .

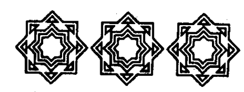
تلك هي بعض الحكم وراء مشروعية الزكاة الخاصة بشهر رمضان ، وهذه الزكاة تجب بغروب شمس آخر يوم من شهر رمضان ، ويندب إخراجها بعد صلاة الصبح وقبل صلاة العيد ، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين ، و وأجاز المذهب الشافعي إخراجها من أول يوم من شهر رمضان ، وهي واجبة علي المسلم القادر سواء كان ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا ، وتفسير القدرة في المذهب المالكي بالاستطاعة وقت وجوبها ولو كان ذلك بطريق الافتراض إذا كان الإنسان يرجو الوفاء .

وتجب الزكاة عن الصائم عن نفسه وعمن تلزمه نفقته من زوجة ووالدين فقيرين وولد ذكر إلى أن يبلغ ويقدر علي الكسب ، وأما البنت فزكاتها علي زوجها بعد التزوج .

وتخرج الزكاة من غالب قوت البلد في شهر رمضان ، ومقدار ما يخرج عن الفرد الواحد أربعة أمداد ، ولا مانع من إخراج الزكاة نقودا ، بل إن النقود أفضل للفقير ، وبها يستطيع توجيهها إلى ما يريد من شراء ملابس لأولاده وما إلى ذلك من ضروريات الحياة ، والمبلغ المراد إخراجه عن الفرد الواحد يتغير بتغير الأسعار ، وهو يقدر طبقا لسعر القوت الغالب تناول الناس له ، ودار الإفتاء تصدر بيانا بخصوص تحديد مقدار الزكاة فليكن الإخراج مبنيا علي ما يصدر من دار الإفتاء من تحديد لما يخرج عن الفرد الواحد من مال ، وكما ذكرت من قبل فإخراج الزكاة نقودا أنفع للفقير ، وهذا الرأي وجيه وفيه مصلحة لمتلقي الزكاة ، لأنه يستطيع الانتفاع بالنقود في شتى الوجوه.

وتعطي الزكاة لفقراء المنطقة التي يعيش فيها المزكي ، والأقربون أولى بالمعروف ، وإذا انعدم الفقراء في منطقة من سيعطي الزكاة فيجوز عندئذ نقلها إلى منطقة أخرى فيها فقراء ، ولا تحسب أجرة النقل من الزكاة بل يتحملها المزكي ، ويحرم تأخير الزكاة في ذمة الإنسان إذا لم يخرجها ويطالب بها يوم لقاء الله .

أيها الإخوة والأخوات : زكاة الفطر تعبير عن شكرنا لربنا ، وتعاون مع إخواننا الفقراء ، وإدخال للسرور عليهم ، فعلينا أن نهتم بأدائها وألا نقصر ، ففي إخراجها خير لنا ورفع لصومنا إلى السماء ، وفي التقصير في أدائها ضرر لنا وإثم تقع نتيجته علينا ، والله نسأل أن يقبل صومنا ، ويوفقنا إلى أداء ما هو مطلوب منا، والله الموفق .



الحلقة التاسعة والعشرون

رحيل شهر الصيام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فها هو ذا شهر رمضان قد أوشك على الانتهاء ، وتلك هي أيامه ولياليه تؤذن بالرحيل ، وأيام الخير ترحل بسرعة مذهلة ، وأوقات الفضل مكثها قليل ، وإن مجيء شهر رمضان وانتهاءه بهذه السرعة ، يعطينا العظة النافعة ، التي منها ندرك كل الإدراك أن كل مخلوقات الله لها بداية ولها أيضا نهاية ، وشهر رمضان بدأ وانتهى لأنه من مخلوقات الله ، ومرور الأيام والشهور والأعوام كل هذا محسوب من أعمارنا ، وقد يفرح المرء بمرور الزمن ويسر لسرعته ، والواقع يؤكد أن في ذلك ذهابا إليه ، والشاعر كان صادقا حين قرر ذلك حيث قال :

يسر المرء ما ذهب الليالي ** وكان ذهابهن له ذهابا.

إننا - نحن المخلوقات - إلى ذهاب ، ولنا بداية ونهاية ، والخالق العظيم القادر ليس كذلك ، لأنه لا بداية له ولا نهاية ، وهو الحي الدائم الباقي الذي لا يموت أبداء

وها هو شهر رمضان قد جاءنا فسرت بمجيئه قلوبنا ، وانشرحت بقدومه صدورنا ، وقد صمنا فيه وصلينا ، وأدينا واجبنا فيه نحو ربنا ، امتثالا لأمر الله تعالى ، واقتداء بالرسول -عليه الصلاة والسلام -، الذي كان يسر بقدوم شهر

رمضان ، ويضاعف العمل الصالح في هذا الشهر ، وكان -عليه السلام - ينوه بفضل هذا الشهر ويشيد به ، وهذا نموذج من أقوال الرسول عن هذا الشهر المبارك :

- أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدي فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد رزق المؤمن فيه، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

قالوا : يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

- يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء لكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ألا إله إلا الله وتستغفرونه وأما الخصلتان اللتان لا غناء لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ، ومن سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة .

هكذا كان الرسول إزاء شهر رمضان ، ولم يكن الرسول يقول ولا يفعل ، وإنما كان - عليه الصلاة والسلام - يطبق ما يقول ، ويعمل كل ما يقرر ، ويعمق المبادئ التي كان يعلنها ، وكان يفطر الصائمين ويتقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح في هذا الشهر أكثر من غيره ، حتى يكون كلامه مقرونا بفعله ،

وليكون لما يقولـه أثر ، وليعطى القدوة الحسنة والأسوة الطيبة ، فالرسول - عليه الصلاة والسلام - كان يستقبل هذا الشهر أحسن استقبال ، لا بكلامه فحسب، وإنما بكلامه وفعله ، وكما كان يستقبله بهذه الصورة الطيبة ، كان كذلك يودعه أحسن ما يكون الوداع ، يستقبله بالعمل الصالح ، ويودعه بالعمل الصالح ، ونحن المسلمين نستقبل شهر رمضان بما يرضى الله تعالى اقتداء برسولنا ، ونودعه كذلك وداعا معبرا عن حبنا له أسوة بالرسول العالمي محمد بن عبد الله ، والمسلمون يتفاوتون في استقبالهم لشهر رمضان ، فمنهم من يستقبله بقلب مفتوح ، وصدر منشرح ، ونفس مسرورة ، وصام فأحسن الصيام، وقام بالواجب خير قيام ، فمن تلاوة للقران ، ومن ذكر وتسبيح ، ومن جود وكرم ، وما إلى ذلك مما يجب على المسلم ، من فعل الطاعات ، والبعد عن السيئات ، ومن المسلمين من كانوا كذلك ولكنهم أقل درجة من غيرهم من النموذجيين ، وهناك من يستقبل شهر رمضان بفتور ، فلا صيام ولا صلاة ، ولا طاعة ولا عبادة ، ولا بعد عن الخطايا ولا انصراف عن الذنوب ، ولا توبة ولا إنابة ، وإنما تحالف مع الشيطان ، وارتماء في أحضان الرذيلة ، وهؤلاء حزب الشيطان ، وحزب الشيطان خاسر :

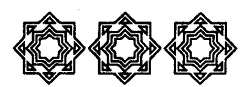
﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ (المجادلة : ١٩).

وهؤلاء الذين بهذا الصورة المعتمة ، سيحاسبون الحساب العسير على سوء مسيرتهم الشيطانية ، وسيعاقبهم ربهم العقاب الأليم إذا لم يرجعوا إلى الله ، ويتوبوا توبة نصوحا ، وهم إذا استيقظت ضمائرهم ، وغسلوا بماء العبادة والتوبة أدران قلوبهم ، وطهروا نفوسهم الطهارة الحقيقية الكاملة ، إنهم عند ذاك يغفر الله لهم ، ويقبل توبتهم ويشملهم بعفوه ورضاه :

﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ (الشورى : ٢٥).

وكما أن استقبال شهر رمضان متفاوت ، فكذلك وداعهم له متفاوت ، وهنيئا لمن أحسن الاستقبال والوداع ، هنيئا لهم بما قدموا من أعمال صالحة ترضى الله ، وهنيئا لهم بما ادخره الله لهم من أجر عظيم لديه .

أيها الإخوة والأخوات : حين يزورنا ضيف عزيز له مكانته الكبيرة لدينا، فإننا نتبارى في حسن استقباله ، ونعتز بزيارته كل الاعتزاز، ونعمل على أن تكون إقامته بيننا إقامة طيبة سارة ، والجميع يبتهجون كل الابتهاج بمقدم هذا الضيف العزيز لديهم ، المحبب إلى قلوبهم ، وكما يستقبلونه هذا الاستقبال الرائع، فهم كذلك يودعونه بالحفاوة والتكريم ، وشهر رمضان ليس كالضيوف التقليديين ، وإنما هو ضيف من نوع آخر ، ضيف جاء المسلمين من قبل الله ، وحل بديارهم ومعه مكافآت من الله ، وهذا الضيف الرمضاني ، ليس بحاجة إلى تقديم ألوان الطعام وصنوف الفواكه ، لأنه ضيف صائم دائما، وإذا فهو لا يكلف المسلمين أعباء مالية، ولا نفقات باهظة ، إنه لا يريد منهم شيئا من ذلك، وإنما يريد منهم أن يتحلوا بطاعة الله وحسن عبادته ، وأن يكونوا مثلا عليا في سمو الأخلاق ومحاسن الشيم ، بحلية السلوك الطيب ، والعمل الصالح ، والبعد عن كل ما يغضب الله ، من انحراف المسيرة ، ومن ارتكاب المعصية .. هذا هو ما يريده شهر رمضان منهم ، ونسأل الله سبحانه ، أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأن يكرمنا دنيا وأخرى ، والله الموفق .



الحلقة الثلاثون

مفهوم الصيام في الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فقد كان الصوم في الديانة اليهودية رمزا للحداد والحزن ، مرتبطا بذكريات مؤلمة سلفت وكوارث شديدة مضت ، فكان الصوم بهذا الارتباط ذا مفهوم قاتم في الديانة اليهودية ، وهذا تصور خاطئ ، وربط غير مستساغ ، أما في الإسلام فلا ارتباط للصوم بشيء من ذلك ، ولا صلة بينه وبين التشاؤم ، ولا علاقة بينه وبين ما يؤلم النفس من ذكريات خلت وأحداث انتهت ، وإنما كان الصوم في الإسلام ذا مفهوم سار جميل ، يغلب عليه روح التفاؤل والفرح، وهو عبادة مرتبطة بما تتوق إليه النفس المؤمنة من أجر كبير وثواب عظيم ، وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة ، تتحدث عن الصوم وما يرمي إليه من حسن النتائج وجميل الأهداف ، فهو يؤدي إلى تقوي الله وهي أعظم غاية ، وتقوي الله تؤدي إلى رضاه ورضاه يؤدي إلى الأجر العظيم الذي لا يرتبط بمقدار معين ، وإنما هو أجر بلا حساب ، وهذا هو القرآن الكريم يتحدث عن نتيجة من نتائج الصيام وذلك في قول الله تعالي :﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (البقرة : ١٨٣).

فهذه الآية تحدثت عن الغاية التي من أجلها شرع الصيام: ﴿ لعلكم تتقون ﴾

وهذا هو الحديث يقول فيه رب العزة - جل شأنه - :

- "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" . (مسلم).

فهذا الحديث ينسب الصوم إلى الله (فإنه لي) ثم يجازي الصائم علي صومه المضاف إلى الله ، وهو جزاء بلا كمية معينة ، وفي الوقت ذاته يكون متفقا مع الكرم الإلهي الذي لا حدود له (وأنا اجزي به).

وبالنظر إلى الآية والحديث ، نجد الهدف من الصيام واضحا كل الوضوح في الآية ونجد كذلك الجزاء غير محدود في الحديث ، وهذا مما يدخل السرور علي القلب ، ويبعث في نفس الصائم النشاط والفرح ، ويسكب في قلبه الابتهاج والتفاؤل ، بما وعد الله به من الثواب الجزيل والرضا الإلهي ، والإسلام أحاط الصائم بجو من السمو وعظم المنزلة عند الله ، حيث بين أن تلك الرائحة التي تنبعث من فم الصائم هي عند الله أطيب من ريح المسك ، لأن هذه الرائحة مصدرها ذلك الإمساك عن الطعام والشراب ، وإذا فهي ناشئة عن عبادة وطاعة لله ، وقد بين الحديث ما يؤكد طيب تلك الرائحة حيث قال : " لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " وإنه من خلال هذا الحديث نجد أن الإسلام يشيع في مجتمعنا الإسلامي جو التفاؤل والبشر ، وهو جو علي النقيض مما قاله اليهود عن الصوم من أنه يدعو إلى التشاؤم لارتباطه في نظرهم القاصر بأحداث غير سارة .. إن الصوم عبادة يتقرب بها العبد إلي الله ، وليست في الإسلام أحكام قاسية ولا قيود ثقيلة تجعل الصوم مرادفا لتعذيب النفس ، ولذلك كان استحباب السحور وتأخيره ، وتعجيل الفطر وإباحة النوم والراحة في

الليل والنهار، والاشتغال بالتجارة والصناعة والزراعة وغير ذلك من الأعمال المباحة المفيدة ، وهذا كله جاء في الإسلام ، خلافا لما في اليهودية ، التي فرضت الإضراب عن العمل والانقطاع للعبادة ، ثم إن الصوم في بعض الديانات ، كان مختصا بطبقة دون طبقة ، وكان عند اليونان خاصا بالإناث ، أما الإسلام فقد أوجبه علي الجنسين ، وعلي جميع الفئات علي اختلاف مشاربهم ، وهذا تعميم وإطلاق ، وهذا هو القول الرباني : ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾ .

وبجانب التخصيص الذي عرفت به الديانات الأخرى لم يكن هناك استثناء لأصحاب الأعذار أما الدين الإسلامي ففيه استثناء لأصحاب الأعذار :

﴿ فمن من كان منكم مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر ﴾ ، ﴿ وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ (البقرة : ١٨٤).

وهذا يدل علي يسر الإسلام ورحمته ، وكان في بعض الديانات جوع أربعين يوما ، وفي بعضها الاقتصار علي تحريم تناول اللحوم ، وإباحة الفواكه والمشروبات ، أما الإسلام فقد كان تشريعه وسطا ، فلا شدة قاسية ، ولا رقة متناهية ، بل بين هذا وذاك ، وجاء الصوم في الإسلام متزنا عادلا ، فلا تعذيب للأبدان ، ولا إرهاق يسببه للأرواح ، وليس فيه إرخاء العنان ولا التسريح في روح وريحان . وكان اليهود يقتصرون علي ما يأكلونه عند الفطر ثم لا يعودون إلى أكل أو تمتع . وكان العرب لا يأكلون ولا يتمتعون إذا ناموا ، فجاء الإسلام وألغي تلك القيود ، وأباح الأكل والتمتع بالمباحات بعد الفكر ، إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، وفي هذا الشان يقول رب العزة - جل شأنه - :

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن . وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل ، ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ﴾ (البقرة : ١٨٧).

ثم إن الصيام في الإسلام مرتبط بالهلال ، ومضبوط بالشهور القمرية ، ولهذا نجد الصوم في الإسلام غير الصوم في اكثر الديانات القديمة التي كان الصوم فيها مضبوطا بالشهور الشمسية .

أيها الإخوة والأخوات : إن دين الإسلام دين عظيم ، فاليسر واضح في تشريعاته ، والسهولة ظاهرة في أحكامه ، وليس في هذا الدين غلو ولا تعقيد ، ولا هو دين رهبانية ، إنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهو الدين الذي يلبي حاجة الإنسانية ، ويستهدف رقيها وإسعادها ، وخير البشرية والنهوض بها ، إنه الدين الخاتم الذي لا دين بعده ، ولا رسول بعد من جاء به وهو محمد - عليه الصلاة والسلام - والصوم في هذا الدين أيام معدودة ، وشهر واحد في العام ، وهو يدور مع الأيام ، وقد جاء في هذا الشأن قول الله تعالي :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات ﴾ (البقرة : ١٨٣).

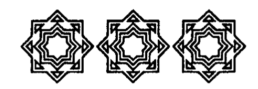
والتصريح بأن الصوم أيام معدودة ، فيه لفت لأنظارنا وعقولنا ، بأن هذا الصوم يسير في مدته وليس كثيرا في كميته ، وأن روح اليسر تتجلى فيه ، وصدق رب العزة حيث قال : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ (الحج : ٧٨).

وحيث قال : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ .

وصدق الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - حيث قال :

- إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا . (البخاري).

أخي الصائم . أختي الصائمة : ليكن سلوكنا في غير رمضان كسلوكنا في رمضان ، لنكن بعد انتهاء هذا الشهر كما كنا فيه ، من حب المساجد ، وأداء الصلاة ، وتمسك بالدين وتحل بالأخلاق الفاضلة ، لنكن محافظين علي الثروة التي حصلنا عليها في هذا الشهر ، وبهذا نعز ونسعد ، والله الموفق .



الحلقة الحادية والثلاثون

عيد الفطر والجوائز الربانية

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فالأعياد ظاهرة اجتماعية هامة ، تعرفها كل المجتمعات الإنسانية، وهي في كل أمة مظهر من مظاهر شخصيتها ، لأنها ترتبط إما بدينها أو بالأحداث الهامة في تاريخها ، وربنا جل شأنه ، جعل للمسلمين عيدين عظيمين، وربطهما بعبادتين من أهم العبادات في الإسلام ، هما عيد الفطر بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان ، وعيد الأضحى بعد أداء الحجاج أهم ركن في عبادة الحج وهو الوقوف بعرفة ، وها نحن أولا نعيش في رحاب عيد الفطر المبارك ، ونستظل بدوحته المظلة ، فرحين مبتهجين مغتبطين مسرورين ، ولذا ففي كل بيت أفراح ولدي كل مسلم صغيرا أو كبيرا ذكرا أو أنثي مسرات ، وعلي كل الوجوه ابتسامات ، لأن العيد قد جاء ، ويوم السرور قد حل ، وهذا اليوم السعيد عيد في الأرض وهو أيضا عيد في السماء ، وإنه ليوم مبارك سعيد .. جاء هذا العيد عقب أداء فريضة الصيام فغمر القلوب بالفرح ، وفيه لبس المسلمون الجديد من الثياب وتزاوروا وتوادوا ، وتصافحوا وتعانقوا ، وأخذ كل واحد منهم يهنئ الآخر بحلول هذا اليوم الأغر الميمون ، جاء العيد بعد الانتهاء من الصوم ، فشكر المسلمون ربهم علي توفيقه لهم حيث امتثلوا لأمر الله ، وصاموا ووفقوا

في أداء هذه الفريضة وفي هذا اليوم العظيم ، هتفت القلوب من الأعماق ، ورددت الألسنة أنشودة العيد الرائعة ، في صوت جماعي جميل وفي الألسنة الأنشودة الجميلة المعبرة ، ما يدل علي شدة التمسك بالدين من جانب المسلمين ، وشدة الافتقار إلى رب العالمين ، وهذه الأنشودة شعار العيد كلما جاء، وهي مرتبطة به كلما وافانا ، وها هي ذي يا أخي المسلم " الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله وبحمده بكرة وأصيلا ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم صل علي سيدنا محمد ، وعلي آل سيدنا محمد ، وعلي أنصار سيدنا محمد ، وعلي أزواج سيدنا محمد ، وعلي ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا " .

إن المسلم حين يردد هذا النشيد الجميل ، يحس بحلاوته ، ويشعر بروعته، لأنه تقديس لله وفيه تسبيح وحمد ، واتجاه بالعبادة لله دون سواه ، وفيه إثبات العبودية والإقرار بها للخالق العظيم وهو الله ، وفيه حمد لله علي نصره لرسول الإسلام وجنده ، وفيه صلاة علي الرسول وآله وأنصاره ، فهو نشيد يحوي كثيرا من المعاني السامية ، ويشتمل علي عبارات جميلة جمال العيد ، وقد أمر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بتزيين العيد بالتكبير ، وتجميله بالتسبيح والتحميد ، حيث قال - عليه الصلاة والسلام - " زينوا أعيادكم بالتكبير ".

إن عيد الفطر المبارك ، لهو يوم متألق زاهر ، مشرق باسم ميمون أغر ، عزيز محبب إلى النفوس ، وفيه للصائم فرحتان ، إحداهما عاجلة في هذا اليوم ، والأخرى آجلة في الآخرة ، فأما العاجلة : فهي تتمثل في توفيق الله للمسلم

علي أداء فريضة الصيام ، وفي لبس الجديد من الملابس في هذا اليوم السعيد ، وزيارة الأهل والأحباب ، وصلة القرابة والعطف علي البؤساء ، وإبعاد الذل في يوم السرور عن المحتاجين والفقراء ، وأما الآجلة : التي في الآخرة : فتتمثل في النعيم الذي أعده الله لأحبابه الصائمين ، والرضا الإلهي العظيم الذي يشملهم به ، وفيما يجدونه في هذا اليوم من أمن وكرم ، وخير واجر وثواب ، نتيجة أداء الصوم إيمانا واحتسابا لوجه الله الكريم ، وثمرة لامتثالهم أوامر الخالق العظيم .

إن يوم عيد الفطر ليس يوما عاديا كأي يوم آخر ، وإنما هو يوم له منزلة سامية ومكانة عالية ، وهو يوم ابتهاج وتزاور ومحبة وتعاطف ، وصفاء ونقاء ، والصيام الذي انتهينا منه وجاء بعده العيد يتطلب من المسلم إخراج زكاة الفطر، لأن الصيام لا يرفع إلي السماء إلا إذا أخرجت ، فلا صيام لمن لم يخرج زكاة الفطر وهو قادر علي إخراجها ، ولا فرحة بالمعني الأتم لمن لم يتأثر بفريضة الصوم .

وقد شرعت زكاة الفطر تطهيرا للنفس وإسعادا للفقراء ، وتوسعة علي المحتاجين ، وإغناء لهم عن ذل السؤال ومهانة مد اليد في هذا اليوم العظيم ، وهي بمنزلة سجود السهو في الصلاة ، ولا تتم الفرحة في هذا اليوم إلا إذا كان المسلم قد أخرج تلك الزكاة ..

إن عيد الفطر شعيرة من الشعائر الإسلامية ، ومظهر عظيم من مظاهر الإسلام ، وفرصة نفيسة يفرح بها المؤمنون ، وهذا اليوم يوم الجائزة الربانية لأولئك الذين صاموا امتثالا لأمر ربهم ، وأحسنوا صيامهم ولم يدنسوه بدنس

الذنوب ، لأولئك الذين وطدوا صلتهم بخالقهم عن طريق حسن عبادتهم له، واكتسبوا من وراء أدائهم الصيام الكمالات النفسية ، واليقظة القلبية ، والصحة الروحية ، إن هؤلاء العارفين بالله ، المؤدين واجبهم نحو الله ، يتسلمون في هذا اليوم المبارك أنفس الجوائز وأغلي المكافآت من الله .

وقد جاء في أصل مشروعية العيد أن الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بعد أن هاجر من مكة إلى المدينة ، وجد الأنصار فيها يحتفلون بيومين من أيامهم ، فيلعبون ويلهون ويسرون ويفرحون ، فسألهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن هذين اليومين ، وعن السر في اهتمامهم بهما ، فأخبروه بأنهم خصصوا هذين اليومين للترفيه عن النفس وللهو واللعب والسرور ، وهنا قال لهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام - : إن الله قد أبدلكم خيرا منها ، عيد الفطر، وعيد الأضحى .

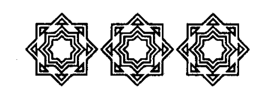
وبهذا القول الكريم بعد وحي الله لرسوله صار للأمة الإسلامية هذان العيدان وهما يتصلان بركنين عظيمين من أركان الإسلام وهما : الصوم ، والحج..

أيها الإخوة وأيتها الأخوات : إن يوم العيد يوم عظيم ، ونحن الآن نعيش في رحاب العيد ، والسرور باد علي كل الوجوه ، والقلوب عامرة بالأفراح ، والنفوس هانئة بهذه المناسبة العطرة ، فلننعم بهذا العيد المبارك ، ولنحمد الله علي فضله وتوفيقه لنا في أداء فريضة الصيام ، ولنعمل علي أن تكون كل أيامنا أعيادا، وذلك إذ أدينا واجبنا ، وقمنا بالتزاماتنا ، وأتقنا أعمالنا ، وكنا في

صحة وعافية ، وإننا حين نكون بهذه الصورة الإيجابية الإيمانية ، نعيش في أعياد مستمرة ، وتكون كل أيامنا أعيادا ، والقرآن الكريم يبرز لنا هذا المعنى الكبير حين يقول :

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧).

والحياة الطيبة هي التي تخلو من المنغصات ، وتكون بعيدة عن المكدرات، والحياة حين تكون في هذا الإطار تكون كل أيامها أعيادا ، وجميع أوقاتها سرورا، وإنا لنسأل ربنا أن تكون حياتنا ثرية بالعمل الصالح وأداء الواجبات ، غنية بالفضائل الإيمانية والآداب الإسلامية ، والله الموفق .



خاتمــة

بحمد الله وتوفيقه ، وعونه ورعايته ، كانت هذه المائدة الرمضانية ، التي هي عصارة فكر ، وإعمال عقل ، وتسخير نظر .

وتلك هي أقدمها إلى القراء الأعزاء ، بما تحمله من غذاء معنوي وزاد قلبي، وقد كان شهر رمضان مصدر هذا الغذاء ، وصانع تلك المائدة الروحية ، وكان قلمي هو المنظم لهذه المائدة .

وهي تتضمن إحدى وثلاثين حلقة ، وكلها تدور حول شهر رمضان المبارك ، وما فيه من شفافيةَ وسمو روح ، وما احتضنه من حدثين كبيرين ، كان لهما الأثر العظيم في ترسيخ دعوة الإسلام ، ورفعة شأن المسلمين ، والانتصار الرائع علي جحافل الشرك وعبدة الأوثان .

هذان الحدثان اللذان سجلهما التاريخ بمداد العزة وبأحرف من النور هما : غزوة بدر الكبرى التي هي من صنع الله ، وفتح مكة المظفر الذي به كانت الانطلاقة الكبرى والزحف الأعظم للإسلام والمسلمين .

ثم تلك هي ليلة القدر المباركة ، التي هي خير من ألف شهر ، والتي زخرت بالتجليات الربانية والرحمات الإلهية ، وكان لزكاة الفطر نصيب من هذه الحلقات الرمضانية ، وتوجت هذه المائدة بعطر عيد الفطر المبارك ، وما في هذا اليوم من الجوائز السماوية ، والتي هي من نصيب المتقين من عباد الله ، والله أسأل أن يحلي تلك المائدة بالإخلاص ، وأن تنال القبول من القراء ، وما توفيقي إلا بالله .

حامد علي زقزوق

المحتويـات

